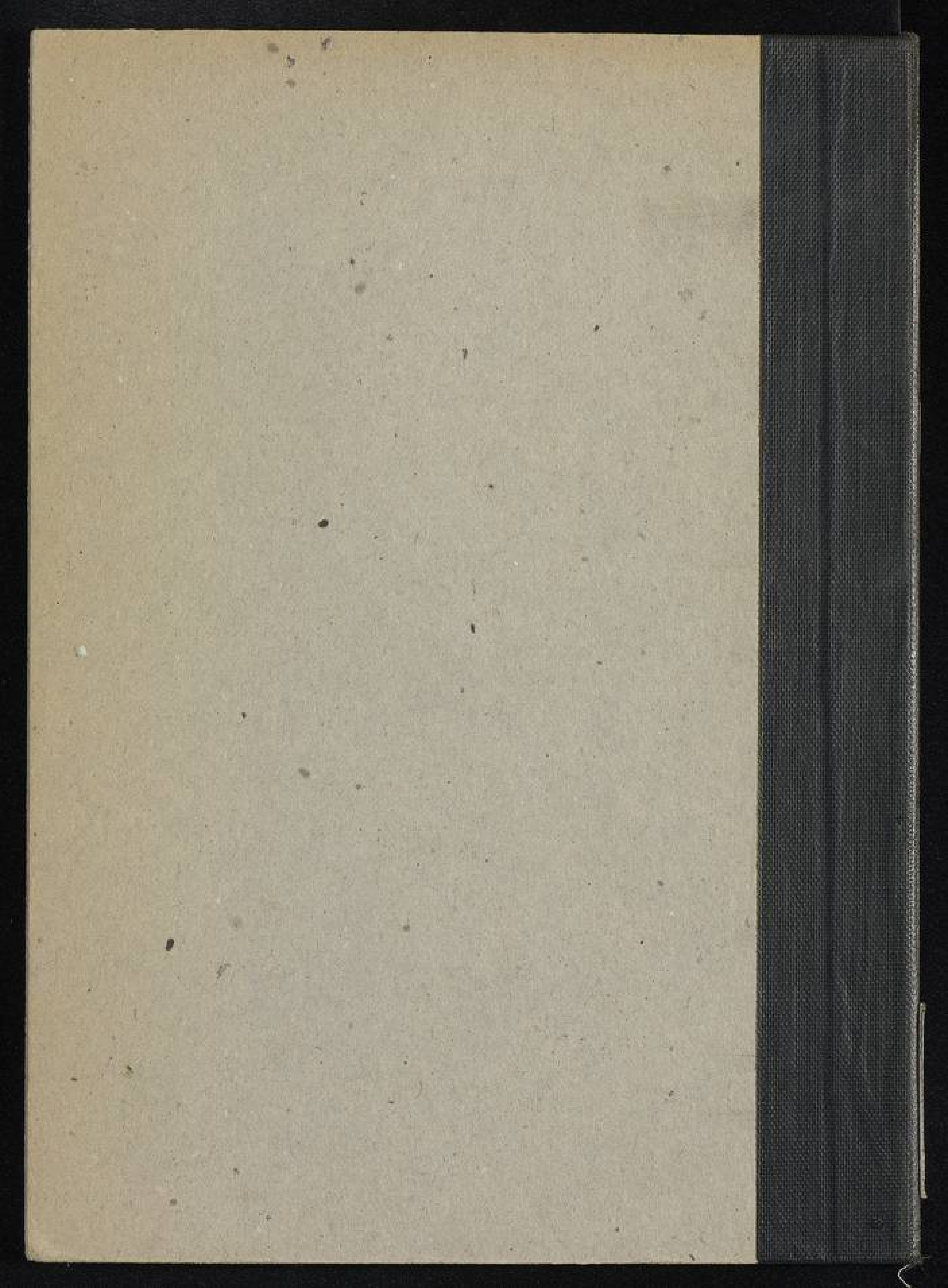
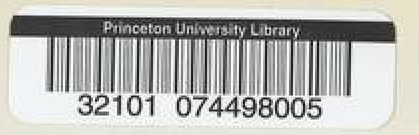
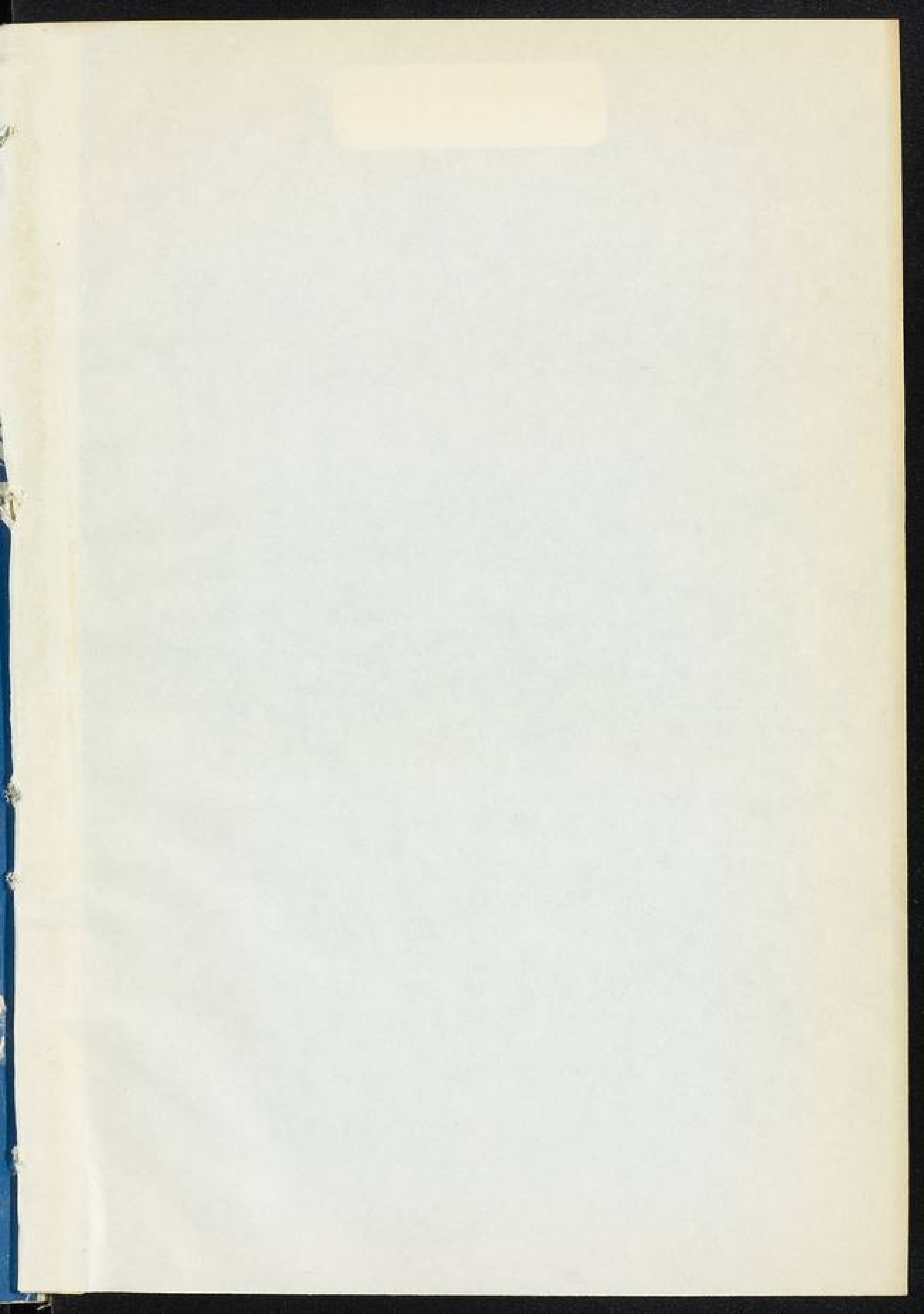


DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE





مهرجان الرصافي

(١٩٥٩)



اتحاد الأدباء العراقيين

بغداد



مهرجان الرصافي

١٩٥٩م

اتحاد الأدباء العراقيين

بغداد

مطبعة المعارف ـ بغداد

المقدمة

ان تأسيس اتحاد الادباء العراقيين ، من دون شك ، ثمرة من ثمرات الحريات الديمقراطية التى نعم بها الشعب العراقى الكريم فى ظل جمهوريته الخالدة بقيادة زعيمنا الملهم ابن الشعب البار عبدالكريم قاسم ، اذ لم يكن للادباء العراقيين فى العهد البائد اتحاد يجمع شملهم ويلم شتاتهم ويوحد جهودهم شأنه في ذلك شأن سائر المنظمات الشعبية التى حاربها العهد البائد ولم يسمح بقيامها فبقيت تواصل الكفاح من أجل تحرير هذا الشعب الذى تم له النصر على يد جيشه المظفر فانطلق الشعب الجبار يمارس حرياته على أحسن الوجوه .

وكان أول عمل قام به اتحاد الادباء العراقيين هو احياء ذكرى الشاعر الحر معروف الرصافى باقامة مهرجان كبير بمناسبة مرور أربعة عشر عاما على وفاته . ومما تجب الاشارة اليه أن زعيمنا الاوحد عبدالكريم قاسم كان له فضل السبق فى الدعوة الى اقامة مهرجان الرصافي وقد رعاه ماديا ومعنويا ، وأمر أن تضرب (مداليا) خاصة بهذه المناسبة ، فعملت فعلا ، فى سويسرة . وتبنى اتحاد الادباء فكرة اقامة المهرجان وتألفت منه لهذا الغرض لجنة برئاسة شاعر العرب الاكبر الاستاذ محمد مهدى الجواهرى ، وسكرتارية الدكتور علي جواد الطاهر ، وعضوية : الدكتور مهدى المخزومى والدكتور صلاح خالص والسادة محمدصالح بحرالعلوم ، وعبدالوهاب البياتى ، وكاظم جواد . وقد عقدت هذه اللجنة عدة اجتماعات رسمت فيها الخطوط الرئيسية للمهرجان ، ووجهت الدعوة الى عدد من الشخصيات اللامعة فى الاقطار

العربية للمساهمة بالحضور والمشاركة فى فعاليات المهرجان الادبية بضيافة الاتحاد ، فدعى : طه حسين ، وأحمد حسن الزيات ، ومحمد مندور ، وسهير القلماوى ، وأمين الخولى ، وخالد محى الدين ، وخليل مردم ، وشفيق جبرى ، وعمر أبو ريشة ، وأحمد سليمان الاحمد ، ورئيف خورى ، وحسين مروة ، وأنيس المقدسى ، وعبدالله العلايلى ، وعبدالرحمن شقير ، وعبدالحميد الكرمى ، كما وجهت الدعوة الى السودان ، والجزائر ، وتونس ، والمغرب ، والسعودية ، والكويت ، فلبى الدعوة عدد من المدعوين ، يجد القارىء كلماتهم فى هذا الكتاب ، واعتذر آخرون ، وفريق ثالث لم يشأ الحضور ولا الاعتذار •

وانتخبت اللجنة المركزية للمهرجان لجنة للدعاية والتنظيم كان لهـا الفضل فى العمل على انجاح المهرجان نجاحا باهرا ، وتألفت هذه اللجنة من السادة : الدكتور باقر سماكة ، جعفر الخليلى ، جيان ، حارث الراوى ، خاشع الراوى ، خالص عزمى ، عبدالغنى الخليلى ، عدنان الحافظ ، عدنان حبه ، فريد سمعان ، موسى النقدى ، ناجى جواد •

وكان من المقرر أن يعقد المهرجان فى (١٦) آذار الماضى حيث تحل ذكرى وفاة الشاعر الرابعة عشرة ولكن وقوع هذا التاريخ فى شهر رمضان المبارك ، وموانع اخرى حالت دون اقامته فى ذلك التاريخ فأجل المهرجان لمدة شهر واحد حيث تقرر اقامته فى (١٦) نيسان •

وقبل بضعة أيام من انعقاد المهرجان كانت الشعارات التى تحمل انباء المهرجان تحتل كل مكان من شوارع بغداد ، كما كانت صور الرصافى تحتل أكثر واجهات المحلات العامة والشوارع الرئيسية • وقد أسهمت الصحافة العراقية اسهاما ملحوظا فى انجاح المهرجان بما نشرته من أخباره ، وبما دعت اليه من ضرورة مساندته والاهتمام به ، وبما خصصت من صفحات للبحوث

والمقالات والقصائد . وكان للاذاعة دور فعال فى هذا المضمار اذ كانت تذيع البيانات والاخبار وتخصص الاركان والاحاديث ...

وكان يوم الخميس ١٦-٤-١٩٥٩ موعدا لانعقاد المهرجان فى قاعة الشعب ، وما ان حل يوم المهرجان حتى حضرت الى بغداد وفود الدول الصديقة والشقيقة . وفى الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر الخميس دعا اتحاد الادباء الى تنظيم مسيرة صامتة من النادى الرياضى الجمهورى متجهة نحو قبر الرصافى الذى جدد بناءه اتحاد الادباء بهذه المناسبة .

وما ان اقتربت الساعة الخامسة من مساء اليوم المذكور حتى كانت قاعة الشعب قد اكتظت بالمدعوات والمدعوين ، وفى الساعة الخامسة اعتلى سيادة الزعيم منصة الخطابة بين عاصفة قوية من التصفيق والهتاف بحياة سيادته ، فارتجل كلمة قيمة افتتح بها المهرجان .

ثم أعقب سيادته شاعر العرب الاكبر الاستاذ الجواهرى رئيس اتحاد الادباء فألقى كلمة حلل فيها شخصية الشاعر وعرض صورا من حياته وذكرياته ، وتعاقب بعد ذلك على المنصة خطباء الليلة الاولى من المهرجان .

وفى يوم الجمعة ١٧-٤ لم يستأنف المهرجان أعماله حيث أسهم اتحاد الادباء فى مسيرة أنصار السلام ، واستأنف المهرجان الحلقة الثانية فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم السبت ١٨-٤ .

وفى الساعة الخامسة من مساء يوم الاحد ١٩-٤ افتتحت الحلقة الثالثة من المهرجان ، وتليت البرقيات والرسائل ، وتتابع الخطباء والشعراء ، ولما أعلن عريف الحفل تقديم شاعر العرب الاكبر الاستاذ محمد مهدى الجواهرى دوت القاعة بالتصفيق والهتاف ، فارتجل الاستاذ الجواهرى كلمة تطرق فيها الى انه اعتاد ان لا يكمل نظم قصائده الا فى آخر موعد لها وبما أن المهرجان كان من المقرر أن يستمر حتى يوم الاثنين فقد اعتمد أن يعمل على

تكملتها فى ليلة الاثنين نفسها ، وحين قرر اتحاد الادباء انهاء المهرجان فى يوم الاحد وذلك لعقد جلسة محكمة الشعب فى يوم الاثنين وانشغال دار الاذاعة بنقل وقائع المحاكمة الى أبناء الشعب تقرر بنتيجة ذلك انهاء المهرجان مساء يوم الاحد وبسبب ذلك لم تتم رائعة الجواهرى ، وهنا ضجت جماهير الحاضرين مطالبة الجواهرى بالقاء ما تيسر لديه من قصيدته فاستجاب للطلب الملح والقاها بين عاصفة مدوية من التصفيق والاستعادة ، وما ان انتهى من القائها حتى ضج الحاضرون بطلب اعادتها مرة اخرى ، فاعادها والحاضرون جميعا وقوف من أثر الهزة التى بعثتها فى النفوس روعة شاعرية الجواهرى المبدعة . وبذلك انتهى منهاج الليلة الاخيرة للمهرجان .

مسيرة صامتة الى قبر الرصافي

في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر (الخميس) ١٦ نيسان احتشدت عند النادي الجمهوري الرياضي جموع تمثل المنظمات الشعبية وطلبة المدارس وسائر المواطنين ، وانتظمت في مسيرة صامتة تتقدمها الشعارات والاكاليل ، وسارت نحو قبر الشاعر في الاعظمية .



كانت المسيرة جليلة رصينة يتقدمها شاعر العرب الاكبر الاستاذ محمد مهدي الجواهري يليه أعضاء اتحاد الادباء وسائر المنظمات ..





صورتان من المسيرة

حتى اذا وصلوا القبر وقفوا عنده حدادا ، وألقى الاستاذ الجواهرى كلمة قصيرة قيمة :

أيها الشاعر العظيم

بقوة الثائرين ، وهى قوتك نزحف اليك وبعزم البنائين ، وهو عزمك ، نحتفل بذكراك ، وبصمت أبلغ من كل منطق وهو صمتك ، اذا كنت تحتج به ، فتخيف ، نقف اجلالا لشاعريتك ، وبحب واخلاص وايمان بالعبقريات البناءة المتحررة المتطورة نلمس ثرى قبرك

واننا لنفارقك أيها الرصافى الآن ٠٠ لنلتقى بك والى الابد منذ الآن ، وانك لم تمت ٠ ولكنك ابتدأت تعيش ٠



[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



الحلقة الأولى

الخميس ١٦ نيسان ١٩٥٩

١ ـ كلمة سيادة الزعيم

٢ ـ كلمة الاستاذ الجواهري

٣ ـ كلمة سيادة وزير المعارف

٤ ـ كلمة مدير التوجيه والاذاعة العام

٥ ـ قصيدة السيدة لميعة عباس عمارة

٦ ـ كلمة الاستاذ رئيف خوري ـ عن لبنان

٧ ـ كلمة الاستاذ أحمد سليمان الاحمد وقصيدته ـ عن سوريا

٨ ـ كلمة الاستاذ عبدالرحمن شقير ـ عن الاردن

٩ ـ كلمة الشاعر التاجيكي مرزه تورسن ـ عن روسيا

١٠ ـ كلمةالاستاذ جونسون جى ـ عن الصين

١١ ـ كلمة الدكتور محمد أحمد ياجى ـ عن السودان

١٢ ـ كلمة الاستاذ حامد روابحية ـ عن الجزائر

١٣ ـ كلمة الاستاذ محمد العروسى المطوى ـ عن تونس

كلمة سيادة الزعيم



السلام عليكم رسل الحرية

السلام عليكم أبناء الشعب

السلام عليكم رسل الثقافة والعلم

أيها الادباء ، أيها المفكرون ، أيها الكتاب

انا جئنا الى هذا الحفل لا لنحيي ذكرى هذا الرجل العظيم ، هـذا الشاعر الفذ فحسب وانما جئنا لننصف هذا الشاعر الحر .

أيها السادة :

انما جئنا لننصف هذا الشاعر الحر أبا الاحرار • انما جئنا لننصف هذا الشاعر الحر ، ونؤدى ما علينا من الديون تجاهه وتجاه كفاحه فى سبيل الشعب والوطن ، فى سبيل اللغة ، فى سبيل الامة العربية ، فى سبيل الحرية •

أيها السادة :

لقد كافح هذا الشاعر الأبىّ فى عهود كثيرة ، كافح فى عهد السلاطين ، وكافح فى عهد الاحتلال ، وكافح فى عهد الانتداب ، وكافح فى عهد الحكومة التى نسميها مجازا بحكومة الظل الرهيب ، حكومة الاشباح المخيفة • ان هذه الاشباح كان ينتظر أن تزول ، كان ينتظر زوالها وقد زالت فعلا فى ١٤ تموز •

أيها السادة :

لقد كافح هذا الفذ فى حياته ، وكافح فى سبيل الحرية قبل مماته ، وبعد مماته ، كافح بأفكاره الحرة التى ما زالت تنير الطريق لتحرير الشعوب• وقد حررت العراق فعلا وما زالت تنتظر تحرير الشعوب العربية الاخرى •

أيها السادة :

ان أفكاره سوف تحرر بقية الشعوب وسوف تحرر الاوطان السليبة وتعيدها الى أرض الوطن والى أهل الوطن ، تعيدها الى أهل العروبة والعرب أجمعين ، تعيدها الى أهلها وتطرد الطامعين من أرضها • ان أفكاره الحرة ستبقى تناضل ونحن معها وأنتم معها تناضلون حتما حتى يتحرر آخر شبر من بلادنا •

أيها السادة ، أيتها الاخوات ، أيها الاخوان :

ان أفكار الرصافى حدائق غناء ومغان ورياض وساحات رحبة تموج فيها الافكار الحرة وينبت فيها التصميم على الكفاح فى سبيل الحق ويفوح

شذاها بعبير الحرية ونسيم الحرية والاستقلال ، فى كل شبر ، فى كل أرض، فى كل مكان من بلادنا .

انا جئنا هذا اليوم لنحيى ونحتفل بذكرى هذا الشاعر الخالد ولننصفه ولنؤدى ما علينا من الديون بحقه أو اليه فقد كان رائد الحرية فى ذلك العهد وما زال رائد الحرية فى هذا العهد ، وما زال باقى الشعراء والكتاب والادباء ينهجون على نهجه ويستمدون منه القوة والهدى . اننى احيى اخوانى الادباء والشعراء والكتاب والمفكرين وأرجو منهم أن يستمروا بجهودهم الصادقة وباخلاصهم لتغذية هذا الوطن ولتغذية الروح النبيلة فى الجيل لتتحرر النفوس من أدران الماضى السحيق .. ماضى الظلم ، ماضى الغدر . ولست أقصد الماضى المزدهر الذى كان تزدهر فيه بلادنا فى قديم الزمان قبل آلاف السنين ان ذلك الماضى المزدهر سوف يعود حتما بجهودكم أنتم أبناء الشعب .

أيها السادة :

كلنا نذكر ما كنا عليه فى ذلك العهد واننى لاذكر وأنا طفل فى المدرسة الابتدائية وكنت أتغنى بأشعار هذا الشاعر الفذ الذى يرنو اليكم وتسمو روحه بينكم أنتم ، فكانت أشعاره وأفكاره حافزا تحفزنى وتحفز اخوانى على المضى والعمل فى سبيل الله وفى سبيل الشعب وفى سبيل الوطن.

أيها السادة :

اننى احس بروحه تسمو بيننا فرحة مسرورة فى اجتماعكم هذا لتخليدكم ذكراه ، واننى احس بروحه تسمو بينكم وتعلو فهو من ذوى السمو وذوى العلو فى الحياة وفى الممات . انه من الشعراء الخالدين ومن الادباء الخالدين ، وقد تخلد ذكره . وقد كان عاملا مهما فى تخليد هذه الجمهورية وقيامها وانبثاقها ، فله الفضل علينا ، واننا نعاهد الله ونعاهد البارى

عز وجل ونعاهد وجداننا وضميرنا بأننا سوف نستمر على العمل والمضى والاقتباس من فكره والهدى بوحيه حتى تتحرر البلاد ، وحتى تسمو الاخلاق ، وحتى يحل السلم بيننا ، وحتى نتخلص من عوامل الطغيان وعوامل الفساد ، وحتى تصبح الشعوب العربية شعوبا حرة مستقلة لا مكان للطامعين فيها .

اننى أهيب بكل مخلص وبكل شاعر فذ أن يعمل فى سبيل الله وفى سبيل الوطن وأن يستمر فى تغذية المعنويات والروح العالية وأن يكون شموسا ، حديدا لا ينثنى ، وأن يكون جموحا ، عنودا لا يقهر فى سبيل الحق .

أيها السادة :

اننى احييكم واحيى روح هذا البطل المقدام وأرجو الله أن يوفقكم ويخلد ذكراه وأن نعمل فى سبيله وفى سبيل الحق ، كلما تتمكن عليه ، ونحن سنفنى فى سبيل الحق دوما وسنفنى فى سبيل هذا الشعب وأبناء الشعب وفى سبيل المثل العليا والسلام عليكم .

كلمة الاستاذ الجواهري

سـيدى الزعيم

بما لنا نحن الادباء والشعراء العراقيين من حق التحدث باسم الامـة العربية ، ونحن من أبنائها وجنودها ، بل ومن العروق النابضة فى كيانهـا نشكرك باسمها يارائد نهضتها الاول . يامن بك وفى يوم ١٤ تموز توضحت لاول مرة معالم نهوضها . وتوهجت خطوط اتجاهاتها . وتبينت مراحـــل مسيرها وزحفها . وباسم الوطن الذى بعث على يديك من جـديد فى كل مرفق من مرافقه . ودبت الحياة فى كل وصـــلة من أوصاله . ومشى دم جديد فى كل عرق من عروقه . نشكرك نحن الذين كنا وصلة من هـذه الاوصال . ومرفقا من هذه المرافق وعرقا من هذه العروق .

يا سيدى الزعيم :

اننا أفراد اسرة المتنبى الذى بعث من هناك فى كوفتنا الحبيبة الى العالم كله من قبل الف ويزيد ليهزه والى الناس كلهم ليشغلهم حتى بعـد الف وتزيد . والرصافى الذى شع هنا فى هذا الجانب العزيز من بغداد نجما وضاء فى سماء الامة العربية ايام كانت هذه السماء على خلاف ما هى عليه اليوم بخيلة باشعتها على ارض العرب ، قليلة نجومها الوضاءة .

واننا ـ ياسيدى الزعيم ـ رهط الادب والشعر فى العـراق باسـم معجزتنا احمد المتنبى فى العصر القديم وباسم مفخرتنا معروف الرصافى فى العصر الحديث ، لندين لك بعرفان الجميل ـ وفى هذا شىء أكثر من الشكر ـ تفضلت فرعيت هذا الاتحاد الجديد للادباء والشعراء العراقيين . وأعنتـــه وتفقدته ، وبالغت فى الفضل اذ شرفته برئاستك الفخرية له .

وانا لنعرف لك الجميل بهذا القدر نفسه انتبنيتفكرة احياء الذكرى الاولى لفحل من فحول الشعر العربى • ومفخرة منمفاخر العراق• وقبس من أقباس الفكر شاعرنا الخالد معروف الرصافى • ومثل ذلك كان جميلك ان تكل الى الاتحاد الجديد أن ينوب عنك فى هذا الاحياء لهـذه الذكرى العزيزة الجديدة •

سيدى الزعيم • وفى أية بقعة من بقاع هذا الوطن لم يكن لك مثل هذا الصنيع الجميل • ومثل هذه اليد الكريمة ؟ فى أقـل من تسـعة شهور ايها الزعيم العظيم مددت يدك هذه الكريمة الى كل مرفق من مرافق وطنك العزيز • فبعث هذا وانعشت ذاك • وانبضت بالحياة من جديد هذا • انك تعمل ايها الزعيم بصولجان القائد وبنطاق الجندى وبمطرقة العامل وبمسحاة الفلاح وبقافية الشاعر وبأسلوبالاديبوبعبارة السياسى وبتدبير الاقتصادى• تعمل كل ذلك بكل بساطة وبكل نكران للذات وبكل روية وحكمة وبعد نظر وترفع • وان لم يكن من يعمل كل هذا • وبكل هذه الصفات زعيما فمن عسى أن يكون الزعيم •

يا سيدى الزعيم ويا أيها الحفل الكريم •

أنا جندى من جنودك ، وأنا وجنودك من اخوانى كلهـــم • وانت نفسك وكل من معك جنود لهذا الوطن • قد انخلع علينا قبس من نورك فلفتنا الاعمال لفا بعد طول تعطل وشلل • ولو شئت ان أعدد لك ـ وأنـا نموذج صغير لاخوانى العاملين فى شتى الحقول ـ ما لدى من هذا العمل أو ذاك فى عهد الجمهورية لرضيت وسررت ، ولا أقول عجبت • وهــذه كلمة ما تزال على مسودتها اختلست لها سويعة من الوقت منصبة من حيث لا أدرى • على أن سر خلود الرصافى كونه مرآة صادقة لشعبه ومجتمعـه وجيله يتحمل ما يتحملون • ويعفى مما يعفون • ويخلد تبعا لذلك وهـذا كما يخلدون •

سيدى الزعيم • ايها الحفل الكريم :

انا نحتفل اليوم لاول مرة ، ولاول سنة من تاريخ جمهوريتنا العظيمة ، بأول ذكرى من اربعة عشر عاما تمر على وفاة شاعرنا الحر الخالد الرصافى • ان ثلاثة عشر عاما بذكرياتها العزيزة على كل عراقى اسقطها من التاريخ طغاة كانوا يحكمون العراق بالرغم من أنف كل عراقى • سواء اكانت هذه المأثرة الحميدة دليلا على عظمة حكم الشعب للشعب • أو كانت عظمة حكم الشعب نفسه دليلا على هذه المأثرة فالنتيجة واحدة • والحصيلة واحدة ايضا • وكلاهما بحد ذاتهما دليل على ان رسالة الفكر الحر النير البناء الجرىء المناضل تخيف الحاكمين الطغاة بأكثر مما تخيفهم أية رسالة اخرى • ودليل على أن هذه الرسالة اذ يتقوض هذا الحكم واذ ينبعث حكم الشعب نفسه ترتبط به وتتفاعل معه وتؤثر فيه وتتأثر به بأكثر مما يكون من ذلك كله لاية رسالة اخرى • ودليل على أن رسل الفكر الاحرار الخيرين البنائين الجريئين المناضلين يكونون صلبا فى جذع المجتمع يستقيم به اذا استقام ، ويتقوس اذا تقوس • وينحنى اذا انحنى • ويشتد اذا اشتد • ويخور اذا خار •وطبيعى ومنطقى وعلمى أن هذا الصلب نفسه لا يستقيم ولا يشتد الا اذا مده ذلك الجزع بروح منه ، ولكنه على كل حال بهذه الدرجة القصوى من التلازم والارتباط والتحالف •

ومن هنا كان الرصافى الخالد ــ كما كان المتنبى العظيم وكما سيكون من بعد المتنبى والرصافى خالدين ما خلد العراق ، والعراق خالد ، مدوين ما دوى الزمن ، والزمن مدو • يبحث عنهما ما بحث عن المجتمع العراقى • ويحللان كما يحلل • ويناقشان كما يناقش • ويحاسبان كما يحاسب ويتحملان فى سبيله ولأجله وبحكم من تبعاته نفسه وما يتحمل هو نفسه وما يحاكم • ويدفعان عن كل ذلك ثمنا غاليا كما يدفع المجتمع نفسه الثمن الغالى عنهما •

ومن هنا - ياسيدى الزعيم ويا ايها الحفل الكريم - كان الرصافى الخالد يرهب الطغاة لانه كان العمود الفقرى فى صلب المجتمع العراقى • ولانه كان منه يستمد القوة • ولانه كان يضيف الى هذه القوة قوة من ايمانه ومزاجه وطبيعته فيردها مضاعفة الى المجتمع • الى الشعب • الى الجماهير • ولانه كان طبيعيا وقد اهتز الرصافى الحر الجرىء المناضل النير البناء الصريح أن يهتز المجتمع كله• أن يهتز الشعب • أن تهتز الجماهير • وأكثر من طبيعى بعد ذلك أن يهز الرصافى - الرصافى المجتمع والرصافى الشعب والرصافى الجماهير - الطغاة الحاكمين وأن يقض مضاجعهم الوثيرة وأن يميل بجنوبهم عن هذه المضاجع الوثيرة • وأن يخيفهم بذلك • وأن يخافوا من ذلك • وأكثر من الاكثر طبيعية أن يجهز هؤلاء الحاكمون الطغاة المستبدون على الرصافى بأكثر من اجهازهم على المجتمع وعلى الشعب وعلى الجماهير • وأن يطاردوه مرات وأن يتسلقوه مرة • وأن يسدوا بوجهه كل أبواب الحياة لأطول مدة • وأن يفتحوا له خصاصا منها برهة • وأن يشنعوا عليه • وأن يؤلبوا عليه هذا الرجعى له مع الرصافى التقدمى ثار • وذلك المتدين المزيف له مع الرصافى العارف الدين بجوهره ولبابه حساب • وذلك الضالع فى ركاب الاستعمار • وهذا الحاسد لكل عبقرى • وذياك الحاقد على كل موهبة •

ان الطغاة الحاكمين كانوا فى العراق أمس - وما يزالون اليوم وحتى هذه الساعة فى غير العراق والف حمد لله - يحاربون الرصافى اذ هم يحاربون فيه المجتمع والشعب والفكرة الحرة النيرة بما لا يحاربون به جيشا يغزوهم • انهم يحشدون له من كل صنف فيلقا اذ هم يحشدون للغازى فيلقا من صنف واحد •

أيها الزعيم العظيم وأيها الحفل الكريم :

من هنا ومن كون الرصافى الخالد الحر صورة من ضمير الشعب

العراقى وصلبا فى جذع المجتمع العراقى وعمودا فقريا فى هذا الصلب ، كان منه مع الطغاة الحاكمين ما كان • وحدث من الطغاة الحاكمين معه ما حدث • وجرى من المجتمع العراقى ما جرى وهو يثيب الرصافى الحر ويشد من هذا الصلب القوى • ويقوم من هذا الوتر الحساس المنبعث من نياط فؤاد الشعب ويمد ذلك الدم الحار المتدفق من شرايين الجماهير • ومن هنا كانت وثبات الرصافى وهو يعود فيجاوب • ويجازى • ويثيب • وعجيب والاصح القول ـ وقد يبدو عجيبا ـ انه من هذه الركيزة بالذات ومن كون الرصافى على هذه الصورة من المجتمع العراقى وكون المجتمع العراقى على تلك الصورة منه تنبعث الناحية الثانية المعاكسة والمؤلمة • فلقد كان الشعب العراقى الذى يكون هذا المجتمع شأنه شأن كل المجتمعات الاخرى المشابهة له فى المناشىء والمباعث والعوامل ينشغل بنفسه عن نفسه • وينقسم على بعضه • ويدب الوهن فى عظامه • وينحدر • وينام • ويغط فى نومه • ويظل هذا الصلب يقاوم وحده ولكن الى حين • وذلك الوتر يسترسل ولكن متقطعا • وذلك اللسان يتحرك ولكن يتململ •

وهنا مع الاسف الممض تمر ساعات العذاب الاليم على الرصافى ـ وعلى كل رصافى قبله ومعه وبعده ـ لا يقدر أحد أن يجسمها لأحد حتى وان كان الرصافى نفسه • ان الطغاة الحاكمين كانوا يحاربون الرصافى ويشددون عليه الخناق حتى اذا كان المجتمع يتجاوب معه • ويشد أزره • ويندفع معه • فما عسى أن يكون الرصافى وهو الآن وحده ووجها لوجه امامهم • وأسيرا كالاسير فى أيديهم • وهدفا مباشرا أو شبه مباشر لسهامهم • لسهام من فى يده السوط الرهيب • وسهام من فى يده القلم المسموم • وسهام من فى فمه اللسان الوسخ وسهام من فى كلتا يديه أبواق يعيد عليها كل ساعة وكل يوم قرقعة السوط الرهيب وخشخشة القلم المسموم • ولقلقة اللسان الوسخ •

ياسيدى الزعيم ويا أيها الحفل الكريم :

ليست هـذه الصـورة عجيبة وان بدت وكأنها عجيبة كما اشرت • ولكن العجيب المحض هو أن يعود هذا المجتمع الكريم نفسه بعد ذلك كله ليتدلل كثيرا على الرصافى بعد أن كان يدلله كثيرا فيقول له : يامعروف ان أنفك كان اليوم أطول مما كان عليه أمس • وان حاجبك لمعقوف أكثر • وان مشيتك لا تعجبنى • وان عقالك للفوف على غير ما يرام • انك يارصافى لعلى شكل جديد •• وعبثا يحاول الرصافى أن يقنعه ان نظره هو على غير ما يرام • وان رؤيته هو غير صحيحة • وان عهده هو قد طال به فهو يراه اليوم متغيرا • وانه حتى وان كان قد تغير فى هذا كله فهو لم يتغير بشىء ابدا فى روحه • فى قلبه • فى ضميره • ولو شاء لقال : فى لسانه •

لعلي - يا سيدى الزعيم ويا أيها الحفل الكريم - قد اطلت القول فى هذا الباب • ولكننى يا سادتى معتذر اليكم بان هذا قول شبه مرتجل بيدى مسودته ومن حروفها المتداخلة والشطبات التى عليها اقرأ • ومع هذا فانا مقتنع أن هـذا الباب هو المدخل الرئيسى لـكل حياة • ويسلبنى الرصافى وشعره وعظمته وخلوده ، انه الباب الذى لا باب غيره يولج منه الى الباحة الواسعة الجميلة والكريمة والحبيبة التى يحتلها الرصافى ويملكها •

على اننى تناولت هذه الناحية الهامة من حياة الرصافى تناولا دقيقا • ولو تناولتها كما تناولها الرصافى نفسه فى أكثر من عشرين قصيدة ومقطوعة لأطلت كثيرا من ناحية ولكنت عنيفا مثله فى ذلك • اننى أرفق كثيرا اذ أعيد قوله من قصيدته الجميلة :

اليـك اليـك يا بغـــداد عنى   فمـا أنـا من بنيك ولست منى

عـلى أنى وان طـال التجنى   يعـز عـلي يا بغـداد أنى

أراك على شفا هول شديد

تتابعت الخطوب عليك تترى وبدّل منك حلو العيش مرّا
فهلا تنجبين فتىً أغرا أراك عقمت لا تلدين حرا
وكنت كمثله ازكى ولود

واذ أعيد :

ويل لبغداد مما سوف تذكره عني وعنها الليالي في الدواوين
لقد سقيت بفيض الدمع اربعها على جوانب وادٍ ليس يسقيني
ما كنت احسب اني مذ بكيت بها قومي بكيت على من سوف يبكيني
أفي المروءة أن يعتز جاهلها وان اكون بها في قبضة الهون
وان يعيش بها الطرطور ذا شمم ولا الحياة على النكراء من ديني
ولست ابذل عرضي كي اعيش به ولو تأدمت زقوما بغسلين

واذ أعيد وهو يخاطبني :

ركبت بحور الشعر قبلك خائضا لعمرك منها كل طامٍ وزاخر
وسيرت من غرّ القوافي بلجها قصائد سارت كالسفين المواخر
بكيت بها المجد المضاع بأدمع من الشعر شروى اللؤلؤ المتناثر
ونحت بها الماضي الذي كان بها زاهيا مناحة ربات الجمال الحرائر
فلم الفِ الاّ منكرين مكانتي يحيدون عني بالوجوه النوافر
فقابلتهم بالصفح عنهم ترفعا وأعرضت عن شتم السفيه المكابر
أنا اليوم من هذي الحياة على شفا أشارك منها مرقدي في المقابر
سأرحل عنهم عائذا من ذنوبهم برب كريم قابل التوب غافر

ان كل شيء بعد ذلك من نواحي الرصافي ليعالج بيسر وبسهولة ومنطق ان نحن قدرنا ان نوفي البحث عنه حقه من الاهتمام على ضوء كونه صورة صادقة حية كريمة للمجتمع العراقي الحبيب ولضميره • وعلى ضوء

كونه صورة صادقة حية كريمة لوثبات المجتمع ولغفواته • لتراصه ولتفاككه • لعنفه ولتطامنه • لعبادته ولكفرانه •

من الهين اليسير بعد ذلك أن نواكب الرصافي في بغداد يافعا اذ هو يتغنى بدجلة ويلاعبها ويعاتبها ويبكيها • واذ هو يناجي اليتيم في العيد • واذ هو يبكي المجد المضاع • واذ هو يعجب لقوم يهطعون لدولة يسومهم بالموبقات عبيدها ويعجب أكثر من أنهم اذ يفعلون ذلك يفعلون وأموالها منهم ومنهم جنودها •

من الهين اليسير الجميل بعد ذلك أن نبوّب حياة الرصافي ومراحل تصاعده الفكري ومراحل تطامنه كذلك • وأن نصنف هذه الحياة وتلك المراحل وان نضع عليها ما نشاء من علامات تعجب أو اعجاب • أو تفاؤل أو تشاؤم • وأن نمشي مع الرصافي الخالد في شوارع الاستانة وهو شاب يفيض حيوية وقريحة وشموخا وصمودا • وأن نتغنى معه بصوته البدوي الجميل وهو يصف البسفور • أو يشتم الحاكمين الطغاة المرعبين أو يعرض بالخليفة الجبار العنيد عبدالحميد • أو يشيد بمجد العرب وماضيهم • أو أن يعود فيغضب لحاضرهم • أو أن يزيد في ذلك غلوا فيتشاءم حتى من مصائرهم ومستقبلهم • ومن الهين اليسير ونحن نمشي على ضوء من مجتمعنا العزيز بكل مظاهره ، مجتمع الرصافي الحبيب • وعلى ضوء من كون الرصافي صورة صادقة كريمة له • ان نشد الرحال وقد دالت الايام والدول وغلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون ثم يُغلبون • لنرافق الرصافي اذ هو يغادر الاستانة العظيمة آسفا عليها• والشعب التركي نادبا مصيره • وسلاطين الاستانة فرحا بمصائرهم • ثم اذ هو يحز في نفسه الالم • انه عائد الى بلده ليواجه سلاطين مزيفين جددا ، كان عبدالحميد سلطان الاستانة ومصب جام غضب الرصافي لا يقبل بهم حاشية له • واذ هو يجمع الى هذا الحز

احساسا مرهفا بان له وطنا على أى حال كان . وفى أية ظروف وجد . وبأية حكم . وبين هذا الحز وذلك الاحساس يبدو الرصافى العظيم الحائر الثائر على أبدع ما يكون ألما واحساسا وحيرة وثورة . فاذا بـه وهـو فى طريقه الى بغداد يهتبل الفرصة السانحة ليقول للناس : ان له فى بغداد ملكا أبت عصابة تاجه الا أن يكون سيف التايمسيين غاصبا لها وان ليس لهـذا الملك الجديد من أمر الا أن يعدد أياما ويقبض راتبا .

ومن الهين اليسير - يا سيدى الزعيم ويا أيها الحفل الكريم - بعد أن نعرف الرصافى صورة صادقة للمجتمع ان نستعرض حياته الكريمة المناضلة الخيّرة النيّرة فى العراق طيلة جيل كامل من يوم ان قال :

أأمين جئت الى العراق لكى ترى ... ما فيـه من غرر العلا وحجـوله
عفـوا فذاك النجـم أصبح آفـلا ... والقـوم محتربون بعـد افـوله
أمـا الحيـا فيـه فذيّاك الحيـا ... لـكن مسيل الماء غير مسيله
وربيعــه ذاك الربيع وان شـكا ... من جهل سـاكنه اشـتداد محوله
من أين يرجى للعـراق تقـدم ... وسـبيل ممتلـكيه غير سبيله ! ؟

ومن يوم يقول :

لواعـج الهـمِّ فى جنبيَّ تضطرم ... والهـمُّ مقـداره من أهله الهمم
كم قـد أذاقتنى الايام من حرق ... من فوقهـا أسف من تحتها ألـمُ
أكلمـا قلت شـعرا قال سـامعه : ... نار تفـوه بهـا للناس أم كلـم ؟

ومن يوم يقول :

الشـعب فى جزع فلا تستبعدوا ... يوما تثور بـه الجيـوش وتزحف
واذا دعـا داعى البـلاد الى الوغى ... أتظن أن هنـاك مـن يتخلـف ؟
أيـذل قـوم ناهضـون وعنـدهم ... شـرف يعزز جانبيـه المرهف ؟
كم من نواص للعدى سـنجزهـا ... ولحى بأيـدى الثـائرين سـتنتف

حتى يوم ان انتهى هذا الجيل الحافل الخير النير المناضل الشريف فى مساء يوم ١٦ آذار من عام ١٩٤٥ ، فى تلك الغرفة الجرداء التى لا أنساها أبدا ، وكأنما أنا فيها الآن • وكان الرصافى ـ وهو ذاك أمامى ـ على سرير من السرر الرخيصة لولا أن الرصافى هو الذى كان ينام عليه •• وكان هو الآن وقد أحس بى وأنا أدب على أطراف أصابعى لئلا أوقظه • وكانت الحيرة هى فى أين أجلس اذ ليس فى الغرفة كرسى أو خشبة أو حجر للجلوس • وكأنما هى فى هذه الساعة لا غيرها اذ تتبدد الحيرة باستيقاظ الرصافى وبوجودى محلا على طرف السرير فيتحامل على نفسه فألح عليه ملتمسا أن لا يفعل فيأبى فأطيع فأتحدث اليه آخر حديث وأوجعه قبل أن يموت بأيام •

ان هذا الجيل الحافل الخير النير ـ يا سيدى الزعيم ويا سادتى الحفل الحفل الكريم ـ قد انقضى فى هذه الغرفة الجرداء ولم يسدل عليه ستار • فأنا أحلف صادقا وكان الجو مشمسا والضوء يؤذى عيون الرصافى • وكان على درجة من الحرارة لا يطيقها مريض مثقل لابد له من أن يمد عليه الغطاء• أحلف صدقا انه لم يكن فى غرفة صاحب هذا الجيل كله ستار •

فهل كان الرصافى فى هذه الصورة الخاتمة لصور حياته الا معنى من معانى المجتمع ، ورمزا من رموز علاقاته ، ومفهوما من مفاهيم الطبقات فيه ؟!

ولكن جيلا جديدا ـ يا سيدى الزعيم ويا أيها الحفل الكريم ـ ابتدأ زحفه بعد عشرين عاما من يوم انقضى ذلك الجيل الحافل فى تلك الغرفة الجرداء • جيل جديد حافل ثائر متطور جمهورى ابتدأ زحفه يوم ١٤ تموز • وكان أول مسيرته عندما عرج على تلك الغرفة • غرفة الرصافى الخالد الموحشة فأسدل عليها الستار • ثم عاد ليرفع الستار عنها فاذا الرصافى

في أوج شبابه وثورته ومن حوله الرياحين والعطور والاطياف والاحلام .
واذا هو يلاعب شاربيه الجميلة كعادته .. ثم اذا هو يبتسم ويبتسم ويملأ
الدم وجنتيه لان طيفا من هذه الاطياف العذبة كان يتجسد لديه وينتصب
ويتحدث الى الرصافي ويتحدث الرصافي اليه .

كان ذلك شعبا يزحف . وعلما جديدا يخفق . وشعارا جديدا
يرفرف . ونظاما جديدا يتوطد .. وزعيما عبقريا فذا ومن طراز جديد
يلوح !...



كلمة

سيادة الزعيم الركن محيي الدين عبد الحميد
وزير التربية والتعليم (المعارف)

سيدي سيادة زعيم الامة الاوحد .

أيها السيدات والسادة . يسرني أن أقف اليوم لاحيي ذكرى شاعر طالما جلجل صوته في أرجاء هذا الوطن العزيز . فارتجفت له أوصال الطغاة ووجفت قلوبهم وأخـذهم الرعب . ولاشيد بمآثر علم من أعلام الثقافـة والادب ، طالما سالت عواطف الشعب ومشاعره وآلامه وآماله على يراعـه المبدع . فخرجت أنغام لم يكل عن تردادها المنشدون . ولاذكر بالفخر والاعتزاز علما من أعلام التربية والتعليم ومعلما ترك أعمق الآثار في قلوب أبناء الجيل الجديد . انه لمما يلفت النظر ويجذب الاهتمام أن يمر (١٤) عاما على وفاة شاعرنا الكبير دون أن يحتفى بذكراه وليس في ذلك ما يبعث على الاستغراب . فقد قضى الرصافي جل حياته شـريدا معدما . يطارده غضب حكام العهد البائد ويضعون في سبيله العقبات ولكنهم ان نجحوا في مضايقته خلال أعوام حياته فقد لطخهم بالخزى والعار الى الابـد ورسـم للمجتمع الذى أرادوا قيادته الى الهاوية صورا كئيبة ومؤلمة خالدة ستكون عبرة للاجيال ونحن حين نحتفل بالرصافي لا نحتفل فقط بالشاعر المبدع الذى وضع قلمه وفنه في خدمة شعبه وانما نحتفل أيضا بالمواطن الصلب ، المواطن العنيد في الدفاع عن حق الشعب ، المواطن المؤمن بمستقبل امته . وبعدالة قضيتها وحتمية انتصارها . لقد كان الرصافي من أوائل من تصدى

للحكم الملكي الفاسد وناصبه العداء وكان الرصافي من أوائل من شارك الشعب في أحزانه وآلامه فبكى لبكاء التعساء وأن لانين المكوبين وذرف الدمع مع البائسين . وندد بالظلم الاجتماعي وحمل راية الحرية . ولم يلقها حتى النهاية ورغم تنكر حكام العهد البائد للرصافي ومقاومتهم له ووقوفهم في طريقه فقد احتضنته قلوب الشعب . وصفقت له وغنت بأشعاره في المحافل والمدارس وترددت قصائده في المشرق والمغرب . وغنى الطغاة وصبت عليهم لعنة الله والشعب ولكن الرصافي لم يفن بقي شامخا في التاريخ شموخ الجبال . وبقيت أفكاره وآراؤه وأبياته تتناقلها الاجيال وتتلاقفها الافواه فتملأ النفوس حماسا ونشوة وتنقل من صور عهد مقيت مضى ما يملأ كل نفس عبرة وكل قلب غصة . أيها السادة لقد كان الرصافي من طلائع دعاة الحرية والعدالة والمساواة . انه أدرك قبل ما ينيف على نصف قرن طريق المستقبل فسار فيه واندفع غير هياب ولا وجل واقتفى طريقة الاحرار وسار الشعب كله الى حيث سار . حتى كانت غايته ومبتغاه في ثورة الرابع عشر من تموز الجبار . فنحن حين نكرم ذكرى الرصافي ونشيد بنضاله انما نكرم ونشيد بجهود ومآثر صانع من صناع هذه الثورة وبطل من طلائع أبطالها أدى رسالته في رسم طريقها والتهيئة لها . وأخيرا فان من حق وازرة التربية والتعليم بل ومن واجبها أن تحيي ذكرى الرصافي وتقدم له أصدق آيات الاعتراف بالجميل فقد عمل فيها وأخلص في العمل وترك آثارا حميدة لم تؤثر فيها السنون . طابت ذكراك يا شاعر العرب المجيد يا شاعر الحرية والعدالة وخلدت رمزا للعز والاباء .

والسلام عليكم .

كلمة الاستاذ (ذو النون ايوب)
مدير التوجيه والاذاعة العام

الرصافى الشاعر بين السياسة والأدب

اعتدنا فى العهد البائد ، أن نكرم الشعراء والادباء ونتذكر حسناتهم ، ونتغنى بمحامدهم بعد موتهم ، وان نطلب منهم فى حياتهم ما هو فوق طاقتهم، فان لم نجد ذلك ميسورا ، اضطهدناهم وعذبناهم ، وان كنا معتدلين غير منهورين ، أهملناهم . وقد نكون بذلك أشد عليهم من المعذبين والمضطهدين .

كان الرصافى شاعرا مجيدا ، متمكنا من أساليب الشعر وفنونه . وكان الى جانب ذلك ، فنانا عبقريا ، شديد الحساسية بالظلم ، مهما تزين وتبرج ، مؤمنا بالعدل ، زاهدا فى المطامع ، يخضع للمنطق وأحكامه . ينشد الجمال فى هذه الدنيا . وتهفو نفسه الى مواطنه ومظاهره .

وكان من سوء حظه ، أن عاش فى فترة حرجة من تاريخ العراق ، فترة تخلص العراق من حكم الدولة العثمانية وانتقاله الى دورى الاحتلال ثم الاستقلال المقيد . وقضى نحبه خلال الحرب العالمية الاخيرة .

جاء الرصافى الى العراق ، حين استقل العراق ، وأصبح له مجلس نيابى وملك ودستور . فما تمالك أن أعلن للملأ قوله المأثور :ـ

ملك ودستور ومجلس امة   كل عن المعنى الصحيح محرف
للانكليز مطامع ببلادكم   لا تنتهى الا بأن تتبلشفوا

ونظر الحكام والامراء والاسياد فى العراق آنذاك ، الى موقف الرصافى من هذا الاستقلال المحرف ، فكانوا بين مؤيد أو مجامل أو غاضب . أو غير ملتفت ، لا يبالى بما يقوله هذا الشاعر ، وغيره من الشعراء الغاوين الذين هم فى كل واد يهيمون . والذين يقولون ما لا يفعلون . ولكن مصيبتهم فى

الرصافي كانت أشد من ذلك وأنكى • فهو ممن يقولون ويفعلون • وليس هو ممن يهيمون في أودية الخيال • فاحتاروا في أمره • كيف يتصرفون معه • وهو ذو المكانة في البلاد ، وممن تجمعهم به رابطة الصبا وعهود النضال • وحقوق المعاشرة والصداقة ، فقرروا السكوت عنه • وحاول أحذقهم أن يستدرجه الى الفخ • بتنصيبه نائبا ، أو استاذا ، أو مفتشا ، أو غير ذلك • وكان الرصافي يخرج من تلك الافخاخ رافع الرأس باصقا عليها • مفضلا عيش التقشف والتشرد • ملتجئا الى مواطن الجمال • تاركا العنان لمنطقه السليم وعقله النير أن يطلع ويستنتج ، وهو مشرف على توافه الدنيا ، ودنيا الاطماع ، من ارتفاعه الشامخ •

وكان في العراق يومذاك أحزاب سياسية ، وتيارات فكرية ، وكانت تلك الاحزاب والتيارات تتقارب من الرصافي أو تتباعد عنه • وهي في اقترابها أو ابتعادها ، تحاول أن تجعله وسيلة دعاية ، أو مصدر نفوذ شعبي لها • فاذا كانت من الدهاء واللباقة بدرجة أن تخفي حقيقة أهدافها عنه تمكنت من مقاصدها الى حين انتباهه • وان كانت مخلصة في أهدافها مؤمنة بالنضال في سبيل مصلحة البلاد كان لها نعم المعين • وما كان اندر ذلك • كان عدد أصدقاء الرصافي في العراق أكثر من الكثير ، وهم بين معجب بنوادره وأخباره الملفقة ، أو الصحيحة أو مهتم بأدبه ، متوسل به الى الظهور والشهرة • أو مستفيد من التقرب منه ، فائدة تنيله هدفا أو مركزا دون علم الشاعر أو ارادته • وقليلون جدا هم اولئك الذين كانوا يفهمون روحه العالية وطبيعته المتمردة على كل مألوف سخيف • أو منطق أعوج •

أما أعداؤه فكانوا أقل من القليل • ولكنهم كانوا في أوج النفوذ والقوة • يحاربونه بالسر والعلن وكان أشد أساليبهم على نفسه اظهاره أمام الملأ على غير حقيقته • حين كانوا يشوهون معاني كلامه ، ويظهرونها بغير مظهرها ، أو يفسرونها تفسيرا يتسق مع انحطاطهم وقلة ذوقهم وجهلهم •

كان الرصافي لا يبالي باضطهاد الساسة ، ولا بمقامة السلطان ، ولا بارهاب الملوك وجبروتهم • ولكنه كان في هم مقيم من عقارب المجتمع التي

كانت تدب لتلدغه على حين غفلة • فكان اذا كتب عن فلسفة التصوف اتهمه جهلة رجال الدين بالزندقة • واذا تغزل بالجمال فى مظهر انسانى اتهم بالتهتك او الشذوذ • واذا دعا الى السفور وتحرير المرأة اتهم بالاباحية • واذا ما دعا الى الحريات السياسية اتهم بالنازية او الشيوعية حسب الزمن والظروف ، ومهما كان موقف أعدائه منه • فما كان ثمة من يجرؤ على نكران ابائه وشممه وترفعه وعزة نفسه ، وتفضيله العيش المر على الجنان تحت ظل الطغاة وحمايتهم • فقد كان يعرف ثمن تلك الحماية الفادح ويأباه كل الاباء •

لقد كانت سياسة العهد البائد أصغر من أن تفهم شاعرا كالرصافى • والثورة حين تفكر اليوم بتكريم شاعر حر عظيم كالرصافى ، فهى تعنى أنها لا تتفق مع العقلية السائدة بين بعض الناس ، وحتى بين بعض المثقفين فيهم • تلك التى تؤمن بأن شى الاديب أو الفنان على نار الحاجة ، بعد شكه بسفود وجهات النظر السياسية الضيقة ، وهو جزء من تقويم الفنان ، وواجب اجتماعى نحو تكامل أدبه وفنه •

ان عقلية بعض المفكرين ما زالت تعتبر الفنان أو الشاعر أو الاديب ، بوقا لوجهة نظر سياسية معينة ضيقة ، ناسية أو متناسية • أن هؤلاء أوسع آفاقا من غيرهم ، وليس باستطاعتهم أن ينظروا الى حقائق الحياة بمنظار ملون • وانى اعتقد بأن أعظم المبادىء السياسية قيمة ، هى تلك التى لا تحاول أن تجعل فنانا ما ، داعية لها ، فان قوة تأييد الفنان الصادق للمبادىء الصادقة ، كامنة فى حقيقة هذه المبادىء نفسها • وقد يلتقى الفنان معها دون دعوة ،ان كانت حقا تدعو الى الحر والانصاف • ان الكلام الكثير والدعاية مهما عظمت لا تعنى شيئا اذا لم تكن صادرة من أعماق الضمير ، منبعثة عن وجدان صادق نزيه •

ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم • والسلام عليكم •

تحية الرصافي

قصيدة السيدة لميعة عباس عمارة

هو شاعر حسبى من الاوصاف ... أغنيت يا معروف عن ألطافى
أمضيت كل العمر بؤسا ساحقا ... ماذا ترد معازف العزاف
من نومة فوق (الجريد) لنومة ... تحت التراب بليدة الاطياف
عار على عار لعهد بائد ... خلو من التقدير والانصاف
منع الاديب الالمعى صبابة ... وأفاض بالانعام للاجلاف
هم يزعمون العبقرية تنتشى ... بالحزن والحرمان والاجحاف
هبة يقدمها نظام أرعن ... للاذكياء (بريشة) الاهداف
درب الخلود مزالق ومهالك ... لا يأمن العثرات الا الحافى
خسئوا فأعزز ما يجود مفكر ... والعيش طلق ناعم الاكناف
أولى بهذا الفكر ألا يبتلى ... بالخبز والاثواب والاخفاف
لكنها والرأسمال يديرها ... وامورها فى قبضة الصراف
رعناء تمنع وردها أحياءها ... فاذا فنوا ناحت على الاسلاف
يا شاعر البؤساء ألف تحية ... لو أنصفتك تحية الآلاف
هذا هو اليوم الذى أملته ... هلاّ انتظرت تكشف الاسجاف
هذا هو البطلُ الذى ناديته ... لبى رجاءك بالدواء الشافى
(عبدالكريم) نصيرنا وحبيبنا ... بطل السلام محطم الاحلاف
هو فوق ما صورت اذ ناجيته ... هو فوق ما نلقى من الاوصاف
هو فى العيون بريقها وعنادها ... وعلى الشفاه حُشاشةُ الهتاف
فيضٌ من الالهام ما استقيته ... الا أمدك بالنمير الصافى
لولاه لم يُعقد لصحبك محفل ... ولما استقر العيش بالطواف

كنا كما تدرى ، وما لم تدره حتى حسبنا اليأس فى الاسعاف

حُمَّ القضا وتقطعت أسبابنا فاذا (كريم) يُطل بالمجداف

أرسى بها والموج يجأر حوله ورنا لهوج الريح باستخفاف

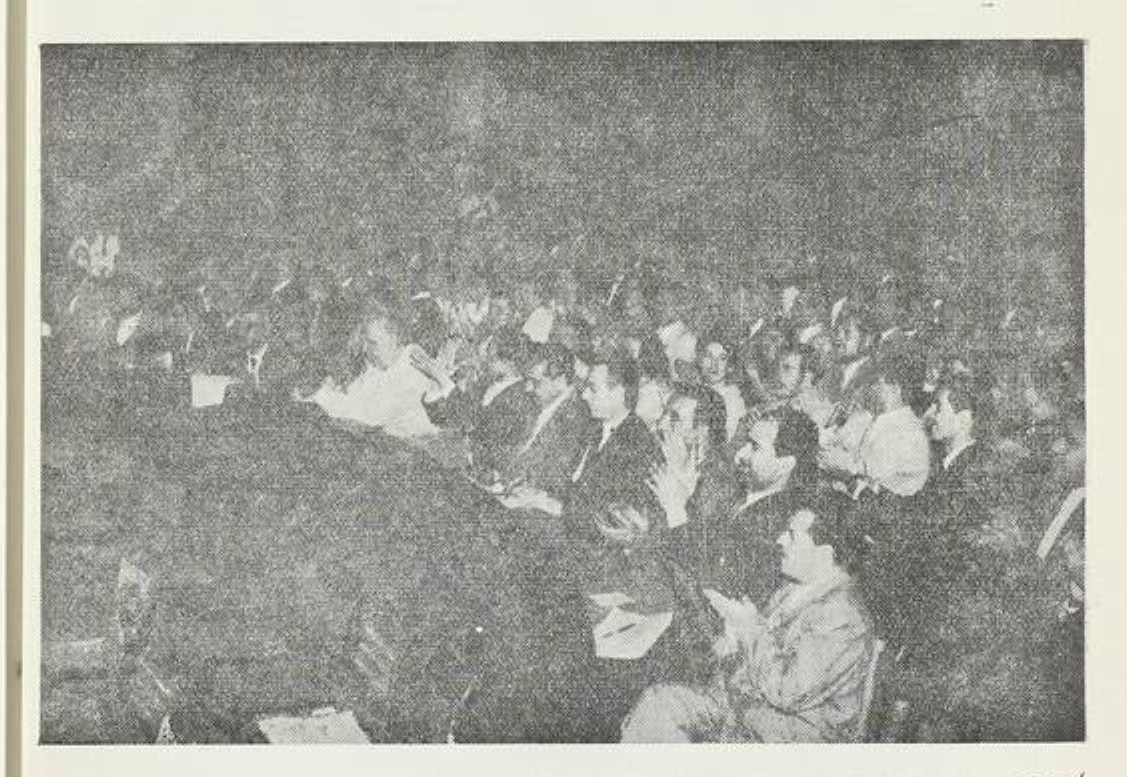
هى ضربة وتابعت أشباهُها شدّه العدو بها وهب الغافى

جزت نواص للعداء، تنفت لحى[1] وتلاعب الصبيان بالاقحاف[2]

لكأن عينك ، والغيوم كثيفة ، شهدت جليا مصرع (الاشراف)

وكأن من (تموز) شعرك نابع حتى نكاد نراك فى الأضياف

نم هانئا - ان صح قولى : (هانئا) - فلقد ظفرت بحلمك الرفاف



---

(١) من فائية الرصافى المشهورة يقول فيها :

كم من نـواص للعـدا سـنجزها ولحى بأيـدى الثـائرين ستـنتف

(٢) الاقحاف : جمع قحف عظم الجمجمة .

خطاب الاديب اللبنانى رئيف خورى

التحية للعراق الخير ، التحية لهذا الوطن المعطاء ، الذى ما انفك طوال ١٤ قرنا ، منذ الجاهلية الى يومنا الحاضر ، يمد مواكب الادب العربى ، بالعبقريات المبدعة ، حتى اتصلت به أعرق أمجاد تراثنا فى اللغة والادب والفكر ، أمجاد لن نستنفدها حينما تذكرعدى بن زيد العبادى وأبا الاسود الدؤلى والفرزدق والخليل بن أحمد وسيبويه والكسائى وابن المقفع والاصمعى وأبا نؤاس والمبرد وأبا تمام والجاحظ وابن الرومى وأبا الفرج والمتنبى والالوسى والزهاوى والشبيبى والرصافى والجواهرى وشعراء الجيل الجديد •

ونحن ، اللبنانين ، أهل جبران خليل جبران وشبلى الشميل وأمين الريحانى وعمر الفاخورى والاخطل الصغير وغيرهم من عشرات الاعلام •

نحن اللبنانيين الذين أخذنا منكم ما هو حق للاخ أن يأخذ من أخيه وأعطيناكم ما هو حق الاخ أن يعطى أخاه • نحن اللبنانيين ليس منا من لا يشعر فى تكوينه العقلى وبنائه الروحى ، الا بأنه على موعد دائم مع العراق الكريم وعلى موعد دائم مع شاعركم معروف الرصافى بالذات • قلت شاعركم وكأنه ليس شاعرنا أيضا ، فأى لبنانى على مقاعد الدراسة أو فى سبل الحياة لا ينشد الرصافى قوله فى أن الدين الصحيح يجمع ولا يفرق :

اذا جمعتنا وحدة وطنية ... فماذا علينا أن تعدد أديان

فأى اعتقاد مانع من اخوة ... بها قال (انجيل) كما قال (قرآن)

كتابان لم ينزلهما الله ربنا ... على رسله الا ليسعد انسان

فمن قال باسم الدين يدعو مفرقا ... فدعواه فى أصل الديانة بهتان

وأى لبنانى لا يحفظ قول الرصافى فى تأنيب الطاغية عبدالحميد :

فدتك الناس من ملك مطاع أين ما شئت من طرق التباع
ولا تخشَ الاله ولا تراعِ فما هذي البلاد سوى ضياع
تنعم فى قصورك غير دار أعاش الناس أم هم فى بوار
فانك لن تطالب باعتذار وهب ان الممالك فى دمار

بل أى لبنانى لا يعرف قصائده « العالم شعر » و « أم اليتيم فى العيد » و « السجن فى بغداد » و « الحرية فى سياسة المستعمرين » وغيرها من روائعه التى تحيى ضمائرنا وتحيا فيها ضمائرنا ما دمنا عربا وما دمنا بشرا نريد الحرية ونريد الحق ونشق طريقنا الصعب الطويل الى قمم الحضارة الانسانية.

ومن دواعى اعتزازنا نحن اللبنانيين أن لبنان كان ، بعدالعراق ، هو الوطن الثانى لمعروف الرصافى . فهو اذا ضاقت به بغداد أو ضاق به حكام بغداد الذين كانوا يضطهدون الفكر ويشردون المفكرين ، أسرع الى عاصمة لبنان حيث لقى اخوانا له محبين ومعجبين وهتف من أعماق قلبه الكئيب المستبشر :

عاهدت نفسى والايام شاهدة الا أقر على جور السلاطين
ولا أصادق كذابا ولو ملكا ولا أخالط اخوان الشياطين
وأجعلنَّ الى بيروت منتسبي لعل بيروت بعد اليوم تؤوينى
خابت ببغداد آمال اؤملها فهل تخيب اذا اتزرت بصنين

وهو يغنى جمال لبنان ويحس قوة اللبنانيين وجوانب ضعفهم ويشاركهم آمالهم الخاصة وآلامهم كلبنانى فى الصميم :

لبست ربى لبنان ثوبا أخضرا وزهت بحيث الحسن أحمر قانى
تلك الربى أما الجمال فواحد فيها وأما أهلها فاثنان

وتفرقوا دينا كأن لم يكفهم | فى النائبات تفرق الاديان
يا أهل ذا الجبل المنيع مكانه | تفدى مواطنكم بكل مكان
انى لارجو أن أراكم للعلى | متهيجين تهيج البركان
لا تقرنوا ، بتشتت ، آراءكم | فالبدر يمحق عند كل قران
أمهاجرى لبنان طال غيابكم | أين الحنين الى ربى لبنان ؟
هذه مواطنكم تريد وصالكم | وتئن شاكية من الهجران
أفترحمون أنينها أم أنتمو | لا ترحمون أنين ذى أشجان

وأحب اللبنانيون معروف الرصافى لا كما يحبون مجرد شاعر يقول ، وما أكثر ما يحسن القول ، وانما أحبوه لذلك الانسجام الصادق بين شعره وفكره ومسلكه فى الحياة . وقد كره الطغيان الحميدى فاستل قلمه سلاحا ماضيا فى وجه ذلك الطغيان الاسود . وكره الاستعمار الحديث فجعل من شعره بوقا مدويا يستنفر به العرب والشعوب المشاركة للعرب كى ينبروا لمكافحة هذا الوحش الشرس الخبيث ، وكره أنظمة الحكم الرجعية التى أقامها الاستعمار بعملائه فى العراق وفى البلاد العربية ، فشن الغارة الشعواء على تلك الانظمة وركائزها من العملاء وأحب العرب وكل شعب آخى العرب وأراد لهم جميعا سيادة واستقلالا وحرية ورغدا وتقدما وكل ما لا تقوم الا به الحياة الانسانية الكريمة .

سيادة الزعيم ، اخواتى أخوانى

ان اللبنانيين على اعجابهم بما وفق اليه الرصافى من شعر رفيع العبارة ، شعر عميق المعنى ، شعر جديد فى أغراضه العصرية ، انما أكبروا قبل كل شىء جرأة هذا الشاعر الحضرى فى زى بدوى ، أكبروا صراحته وبعده عن النفاق ، أكبروا تحرره ، ومواقف له أبى أن يجهر بها الا بالحق ولم يخش تهويشا ، ولا أذله حرمان ، ولا حطمه اضطهاد حتى ختم حياته فى تلك العزلة الموحشة اليائسة ، التى بدا فيها كأن الدنيا نسيت شاعرها الذى هزتها

قوافيه فى حقبة من الزمن ، ولكنه مع ذلك بقى فى كوخه المظلم يضىء فى جوانب نفسه الفجر ويوقن بأن هذا الفجر بازغ ولابد ، وسيغمر عراقه الحبيب ودنيا العروبة كلها بالانوار الجديدة •

هذا فى الواقع ما أحبه اللبنانيون فى الرصافى وما أحبه منه كل شعب عربى ، وهاتوا لنا شاعرا ، هاتوا انسانا محبا فيه شىء أعظم من هذا وأروع وأمتع وأبقى على الدهر • وانى ما زلت أذكر حتى الساعة والدى ، وأنا فى طور نشأتى الاولى ، كيف عاد ذات ليلة متحمسا وهو يحمل صحيفة فيها قصيدة مطولة اختار لى منها أبياتا وشرحها لى وكلفنى حفظها تحت طائلة اتخاذ التدابير • كانت تلك الابيات من قصيدة الرصافى فى استقبال الريحانى فى بيروت يوم عاد من رحلته فى البلاد العربية :

ودع عنك أخبار العراق فاننى ... لاعلم منها ما يفوق العجائبا

فويحاً لاهل الرافدين اذا انطووا ... على اليأس من نور يشق الغياهبا

لهم ملك تأبى عصابة رأسه ... لها غير سيف التلمسى معاقبا

وليس له من أمره غير أنه ... يعدد أياما ويقبض راتبا

الى قوله :

وانى لاهوى الفجر ان كان صادقا ... وتنكر عينى الفجر ان كان كاذبا

وكان والدى يقول : « كلام رجل شجاع يا بنى • رجل حر » •

عاش الرصافى ومات وهو يغنى هذا النور الذى يشق الغياهب ، ويميز الفجر الكاذب من الفجر الصادق ، ويدعونا ألا نيأس من الفجر الصادق ونوره •

ألا ليت الرصافى أضلته يد المنية فلم تجد اليه سبيلها فى تلك الليلة الكئيبة من عام ١٩٤٥ ، ليتها أمهلته الى صباح الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ • لقد كان من حقه على القدر أن يؤجله حتى يشهد ذلك الفجر السابغ الذى عاش يغنيه وينتظر ، قبل أن يغمض عينيه ، أن تكتحل بنوره الحنون • شد ما كان عتب الرصافى على العراق وعلى العرب وعلى جميع

الشعوب المشاركة للعرب عتبا مرا بقوة الحب الذى كان يستأثر بنفسه للعراق وللعرب وللشعوب المؤاخية لهم ومن ثم كانت تلك الصيحة الممزقة :

من أين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير فى وطن يكون السيف عند جبانه والمال عند بخيله
والرأى عند طريده ، والعلم عند غريبه ، والحكم عند دخيله
لقد استبد قليله بكثيره ظلما وذل كثيره لقليله

ومن ثم أيضا كانت له تلك الصيحة الاخرى الممزقة فى مصارحة العرب :

فشر العالمين ذوو خمول اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
فدعنى والفخار بمجد قوم مضى الزمن القديم بهم حميدا
وعاشوا سادة فى كل أرض وعشنا فى مواطننا عبيدا

مرة اخرى ليت المنية لم تسرع الى الرصافى ، اذا لقد كان تغير عطفه المر وتغيرت الصورة التى رسمها وانبعثت من حنجرته الصافية ومن قلبه الكبير انغام اخرى هى تغريد ملؤه الفرحة بهذا الفجر الذى أشرق على العراق فى ١٤ تموز وحطم عن الشعب العراقى أثقل قيوده وأطلق قواه المبدعة ووثب به طليعة للعرب على طريق الحرية والنهضة وبناء المجتمع الدمقراطى العادل وجعل من جمهوريتكم الفتية مبعث حقد الاستعمار وحقد الرجعيين والمضللين من العرب أنفسهم وا أسفاه ! ولكنه فى الآن نفسه جعل جمهوريتكم موضعا لاحترام الاحرار فى مشارق الدنيا ومغاربها ومعقدا لآمال العرب التقدميين فى جميع ديارهم تستطيع بثباتها واعتدادها وعزمها أن تقى القومية العربية كلها شر الاتجاهات الرجعية الخبيثة التى بدأت تذر قرنها .

وفقكم الله أيها الاخوان والاخوات وصان وحدتكم ومشى بكم من نصر الى نصر بقيادة زعيمكم الامين الذى ربط شخصه بمصالح شعبه . وفقكم الله ومكنكم أبدا من الوفاء للرسالات الحرة تكرمون حملتها من نوابغ عراقكم على نحو ما تكرمون اليوم الرصافى الذى مات مغبونا .

قصيدة الشاعر السوري

الاستاذ احمد سليمان الاحمد

لمن المواكب فى مدى العلياء
الزهو زهوى واللواء لوائى

بغداد ، يا ألق الهوى والمجديا
روض السلام وغابة الهيجاء

جئناك ينبض فى الاغانى حبنا
ونهز باسمك أرحب الاجواء

عطر حملناه الى بغداد من
جرحى (سعيد)[1] واخته (أسماء)[2]

جرحان بالوهج المقدس لونا
ثغر الفدى وملاحم العلياء

بغداد نحن ربيع سوريا الذى
ينمو برغم الريح والانواء

بغداد نحن هناك شعب صامد
يلتف حول طليعة غراء

شدت على الجرح الاكف وأعملت
أقدامها فى حية رقطاء

مرت بشاحبة الدروب مشاعلا
يفتحن باب الليل بالاضواء

فتحت على النصر العيون وأيقظت
قيثارة ذهبية الاصداء

تعلو الاغانى من شفاه جراحنا
أقوى من الاقدار والارزاء

المجد للكلمات من دمها ارتوت
اغنية الحرية الحمراء

* * *

ان كنت أغفر للطغاة ولوغهم
بدمي وحز الناب فى أشلائى

هيهات أغفر انهم قد طوقوا
وطنى بأحلاف لهم نكراء

باعوا دم الشهداء أرخص سلعة
تشرى بسوق خيانة شوهاء

---

(١) الشهيد سعيد الدروبى الذى قتلته مباحث جمال عبدالناصر تحت التعذيب الرهيب .

(٢) الشاعرة المربية أسماء صالح التى تعانى شر أنواع التعذيب فى سجون عبدالناصر .

لو يشرف الشهداء من حرم العلى فيروا نهاية طغمة الاجـراء
ويـروا بأن الشـعب يدرك ثـاره متـوشـحا بعقيـدة عصمـاء
تختال في ليل السجون حمامـة وتشع مثـل النجمـة الزهـراء
وتضـيء في بحر الشجون لآلئاً ولاجلهـا يجرى دم الشـهداء
الشـعب بنـاء الحيـاة عزيزة هـدام كل معـاقل العمـلاء

* * *

أنـا لي عـلى جنبات دجلة موعد لبس الزهـور الى أحب لقـاء
دربي اليـه بالسنى مفروشـة مطلـولة بالعطـر والانـداء
وهـوى يصـور زورقين تدافعـا متعـانقين عـلى ذراع المـاء
وتهيم مثـل قـوارب في دجلـة شـقر النجوم على ضفاف مسـاء
نجـوى فـلا لون العذاب بجفنهـا يهمـي ولا في الهمس طعم بكـاء
نجوى فلا صخب القيود بمسمعي كـلا ولا شبح السجون ازائي

* * *

واذا التفـت فلوحـة مصبوغـة بيـد التجرد لا يد الاهـواء
ملء الحيـاة تمـردا وتجـددا فتفتحـي يـا وردة الصحـراء
المـوت للمستعمرين ومن مشى في ركبهـم علنـا وطى خفـاء
للاعبـين عـلى الحبـال وظنهـم أن ليس تكشف خدعـة البلهـاء
لمذبذبـين مـزورين عقـائدا خلعـوا جلودهـم عـلى الحربـاء
تنشـق أبـواق لهـم عن فريـة حمقـاء أو عن كذبـة بلقـاء
الناعبـون ، فـكل صـوت ينتمى لغـراب بـين أو الى ببغـاء
الحـائمون عـلى فتـات مـوائد مبـذولـة لمهـرج ومـرائي
أمن العروبـة أن تغص سـجونهم بطـلائع الاحـرار والشـرفاء
أمن العروبـة هـدر حرياتنـا أو خنـق اغنياتنـا السـمحاء
نحن العروبـة قلبهـا ولسانهـا ويد - يد للشعب - ذات مضـاء

* * *

عبدالكريم تحية عربية نزهتها عن بهرج ورياء

هى من فؤاد الشام نبض مؤمن ونشيدة صداحة بولاء

الشعب يا ابن الشعب فى سورية متشوق أبدا لعيد جلاء

قد زوروا العيد العظيم ومزقوا أفراحنا بمخالب البغضاء

وطنى الذى ما زال يطرد فجره ظل الدجى بمراوح بيضاء

سيرى الضياء هديرنا متدفقا أبدا يصك مسامع الاعداء

ويل الجبان اذا يرى أنيابهم فى أضلع الحرية العزلاء

« المجد للاحرار » أى نداء ! عنوان ملحمة ولحن اباء !

المجد للعمال ملء مصانع تبنى سعادة شعبنا البناء

المجد للفلاح يطربه صدى نبضات قلب التربة المعطاء

المجد للطلاب ، أى رجاء فى أعين المستقبل اللالاء

المجد للجندى يحرس شعلة التاريخ عند حدودنا الشماء

المجد للشعراء • كل قصيدة تطأ العدى بكتيبة عرباء

يا شاعرا غنى التحرر • هذه أعلامه تختال فى الزوراء



كلمة مندوب الاردن

الدكتور عبد الرحمن شقير

سيادة الزعيم العربى الديمقراطى - كريم :-

أيها الحفل الكريم :-

من عمان من الشعب الاردنى القابع خلف القضبان فى سجون الملك حسين والامريكان أحمل اليكم تحية شعب مناضل عربى مصمم على التحرر من الاستعمار والالتحاق بكم .

أحمل اليكم تحية عربية فى هذه الذكرى ، ذكرى الرصافى شاعر الثورة العربية الكبرى . اننا فى هذه المناسبة الكريمة ، ولم يترك لنا اخواننا شيئا للحديث نكتفى بسرد جزء يسير فى هذه المناسبة ولن اطيل عليكم . لم يكن الرصافى شاعر العراق فحسب وانما كان شاعر الامة العربيـة فى مرحلتها التحررية الوطنية منذ مطلع هذا القرن وهو شـاعر ثورى طـول حياته أمين لطبيعته الثورية ونزعته الوطنية لم يؤثر فيه نكد العيش وبؤس الحياة ولم يفُتَّ فى عزيمته مقاومة الطغاة وظل حتى الرمق الاخير سوطا يلهب ظهور المستعمرين والحكام ولسانا ناريا يدافع عن حق الجماهير فى الحياة الحرة والعيش الكريم .

عـاهدت نفسى والايام شـاهدة ... ان لا أقر عـلى جور السلاطـين
ولا اصـادق كذابا ولو ملـكا ... ولا أخـالط اخوان الشياطـين
سيان عندى أجاء الموت مخترمـا ... من قبل عشرين او من بعد تسعين
فانمـا أطـول الاعمـار أجمعها ... للمـكرمات من الابكـار والعـون

سيداتى سادتى :ـ

ضاق الرصافى ذرعا بالحكومات والمجالس النيابية التى تعاقبت على الحكم فى خدمة الاستعمار وضاق ذرعا بالوزراء الذين كانو يعلمون بأمر المستشارين الانكليز ويجعلون أنفسهم آلة فى أيديهم لتنفيذ مآربهم الاستعمارية ورسم بريشته السحرية وقدم لنا فى أبلغ صورة وأجمل وصف صورة بهية وان كان فيها شيء كثير من حياة البؤس للوضع الذى كان عليه العراق .

من ينظر العلم المرفرف يلقه ... فى غير عز بنى البلاد يرفرف
من يأت مجلسنا يصدق أنه ... لمراد غير الناخبين مؤلف
أفهكذا تبقى الحكومة عندنا ... كلماً تموه للورى وتزخرف
كثرت دوائرها وقل فعالها ... كالطبل يكبر وهو خال أجوف

ايها السيدات والسادة :ـ

كان الرصافى انسانا ديمقراطيا رأى مخاطر الفاشية وشهد مجازرها العالمية وأدرك بثاقب نظره وصدق حسه كيف تلجأ الحكومات الرجعية الى الاحكام الديكتاتورية للقضاء على حريات الشعب .

يا قوم خلوا الفاشسية انها ... فى السائسين فضاضة وتعجرف

لقد لعب الرصافى دورا بارزا فى تعبئة القوى الوطنية ضد الاستعمار والحكومات الرجعية فى العراق وكان له أثر كبير فى زعزعة الحكم الفاسد وتفتيح عيون الشعب والجيش على أخطار الاستعمار وعملائه وتهيئتهما لاداء واجبهما فى اليوم المقدس ، كانت قصائد الرصافى الثائرة فى وجه الاقطاع العنيفة فى مهاجمة الاوضاع القوية فى فضح حقيقة المستعمرين وعملائهم كانت تفعل فعل السحر فى الجماهير فى المدن والارياف بين العمال وبين الفلاحين وبين المثقفين وبين الطلاب وبين الجنود

وبين الضباط وكانت تنعكس فى كثير من قصائده صورة حية لما كانت عليه حياة الجماهير وحياة الكادحين وما تردى اليه العراق على يد الاستعمار البريطانى والقصر الخائن وطغمة نورى السعيد وعبدالاله من بؤس وفقر واضطهاد للحريات ونستطيع ان نقول ان الرصافى كان شاعر الثورة الوطنية العراقية وان أدبه ساهم مساهمة فعالة فى كل الوثبات والانتفاضات التى قامت فى العراق الحبيب والتى توجتها ثورة الرابع عشر من تموز .

لابد من يوم يطول عليكمُ فيه الحساب كما يطول الموقف
فهنالكم لم يغن شيئا عنكمُ لُسُنٌ تطول ولا عيون تذرف
واذا دعا داعى البلاد الى الوغى أتظن أن هناك من يتخلف ؟
أيذل قومٌ ناهضون وعندهم شرف يعز جانبيه المرهف ؟
كم من نواصٍ للعدى سنجزها ولحى بأيدى الثائرين ستنتف

هذه الابيات التى استجاب لها شعب العراق الثائر وجيشه الباسل بقيادة زعيمه البطل عبدالكريم قاسم فدكوا فى فجر الرابع عشر من تموز معقل الاستعمار الرئيسى فى الشرق الاوسط وقضوا على حلف بغداد وأنهوا حكم نورى السعيد وفيصل وعبدالاله ووضعوا الاسس لبناء حكم وطنى ديمقراطى يؤمن بالشعب وبأن العراق يجب ان يكون قلعة حصينة للحرية والديمقراطية وحامل راية التحرر العربى الظافرة .

ونحن أبناء الاردن الذين نعتبر عراق الرابع عشر من تموز عراق الاردن وعراق الامة العربية ليطيب لنا فى هذه الذكرى الاحتفال بشاعر الثورة العربية أن نعلن أن مصيرنا فى الاردن وان مصير حركة التحرر العربية وان مصير حركة التحرر فى الشرق الاوسط وأن مصير السلام مرهون كله بتثبيت دعائم الحكم الوطنى الديمقراطى فى العراق . وانه مرهون بالانتقال من الجمود الى التطور والابداع كما أشار الى ذلك سيادة

الزعيم البطل فى احتفال أنصار السلام • ويطيب لنا ونحن نحتفل بذكرى الرصافى أن نبعث بتحية اكبار واعجاب واجلال الى شهداء الحركة الوطنية التحررية فى العراق منذ مطلع هذا القرن وأن أنحنى باجلال أمام الشهيدين كامل قزانجى والمقدم عبدالله الشاوى واخوانهم الذين استشهدوا فى تمرد الشواف الذى قضى عليه شعب العراق الثائر وجيشه الثائر بقيادة زعيمه البطل وسجلوا بذلك انتصارا كان له أثر كبير فى حماية البلدان العربية من نكسة استعمارية لو نجحت ـ لا سمح الله ـ لضربت بجميع مكاسب وطننا العربى ومكاسب بلدان الشرق الاوسط •••

متمنين فى ختام هذه الكلمة للعراق شعبا وجيشا وحكومة بقيادة الزعيم العربى الكريم (كريم الامة العربية) متمنين الانتصار تلو الانتصار فى شتى الميادين ليقود العراق حركة التحرر العربية وحركة التحرر فى الشرق الاوسط ولتحمل بغداد دار السلام راية الحرية والسلم خفاقة ضافرة ويصير عراق ١٤ تموز قبلة أنظار الملايين فى مشرق الارض ومغربها المتطلعين الى تحقيق آمالهم فى الحرية والعيش الكريم وتصفية الاستعمار وتوطيد السلام •



كلمة وفد الاتحاد السوفياتى

الشاعر التاجيكى مرزة تورسن

(ترجمة عميد جامعة العلوم فى الاتحاد السوفيتى)

أيها الاصدقاء الاعزاء

اسمحوا لى أيها الاصدقاء الاعزاء ، فأنتم أهل الرصافى ، أنتم من أولاده وأبنائه ، أن أحمل اليكم باسم الشعب السوفيتى جميعا وباسم كتابه وشعرائه خاصة تحية قلبية حارة ....

ونعلم أنه من قديم الزمان كانت بلادكم مشهورة بالشعر الغنية المضمون والاشعار الرنينة ، وكلنا نعلم أن فى بلادكم كان العزيز يعيش ويفنى العزيز من أروع الشعراء العرب ولذلك قرأنا وسمعنا ولما كان الناس يقولون أن فى بلادكم حتى الاحجار تغنى وكلنا نعلم ونعرف أن بلادكم بلاد الشعراء دليل على وجودكم وأنتم تحتفلون بذكرى شاعركم الكبير الرصافى الذى ساهم بقسط كبير فى قضية تحرر وطنكم ...

كان شاعركم الكبير المحبوب والمعروف بنضاله ضد الاستبداد والمستبدين ، ضد المستثمرين وكان يحب شعبكم وكرس حياته لقضية الشعب ...

ولذلك نظن أن فى تلك الليلة لما كان جنود جيشكم تحت رئاسة الزعيم عبدالكريم قاسم يهاجمون ويدمرون قيصر البلاد والحكام المستبدين والقضاء على النظام الرجعى القائم كان فى تلك الليلة أشعار الشاعر العظيم معروف الرصافى تشارك وترافق الجنود .

وفى هذه الدنيا لكل الاحياء بيت ومختبأ حتى للطيور ولكل الحيوانات وكل شيء حى ، وأما الشعراء فلهم بيت عظيم ومنزلة عظيمة هى قلوب الناس ...

ولذلك أريد أن أقول من صميم فؤادى المجد للشعب العراقى العظيم الذى أنجب هذا الشاعر العظيم ...

عاشت الصداقة بين الشعبين السوفيتى والعراقى ...

فليعش السلم فى كل انحاء العالم .

كلمة وفد الصين الشعبية

للشاعر جونس جى (من اعضاء مجلس السلام العالمى)

ترجمة السيد (محمد مكين استاذ اللغة العربية فى جامعة بكين)

نتشرف اليوم بأن نشارك أصدقائنا الشعب العراقى باسم الشعب الصينى بالاحتفال بيوم شاعرهم الشعبى الوطنى الجسور المناظل فى سبيل الحق والعدالة والحرية والسلام معروف الرصافى ، فاسمحوا لى أن اعرب باسم الشعب الصينى وباسم شعراء الصين احترامنا وتقديرنا للشاعر المناضل العظيم ولوطنه البطل فى أرضه الحرة التى تنيرها شمس ١٤ تموز ...

ما رأينا الشاعر الرصافى بأعيننا ولكننا قرأنا أشعاره المملوءة بالحرية والحياة وكأننا اليوم نسمعه وهو يثنى على الحرية والسلام وعلى بهجة الشعب بمستقبله الزاهر بسحق مؤامرة الشواف والدسائس الاستعمارية العدوانية ، فقصائد الرصافى تشجع الريح الشرقية على سحق القوى الفاسدة الاستعمارية وتحث الشعب العراقى على صيانة السلام والحرية والديمقراطية وعلى بناء الحياة السعيدة الجميلة ، ليس الرصافى شاعر الشعب العراقى لوحده بل هو شاعر الشعب الصينى والشعوب الآسيوية والافريقية وشعوب العالم أجمع ، ونحن الشعب الصينى نحب أدب العراق والبلدان العربية ونحب أن نستفيد من هذا الادب العربى الفنى الجميل وقد نقلت بعض قصائد الرصافى الىاللغة الصينية وجمعت فى ديوان الشعراء العراقين ونالت اعجاب القراء ، ومن أجل ذكراه الرابعة عشرة سوف ينقل الى لغتنا ديوانه ، ونحن واثقون كل الثقة بأن الشعب العراقى سوف يبنى تحت القيادة الحكيمة قيادة الزعيم عبدالكريم قاسم عراقا جديدا حرا مستقلا ديمقراطيا ذا حضارة راقية وفنون نامية ينتشر فى ربوعه شعراء من أمثال الرصافى وترتفع فى أنحائه أصوات الثناء على الحرية والاستقلال والديمقراطية .

والسلام عليكم ...

كلمة الدكتور محمد احمد ياجى
رئيس الوفد السودانى

قبل بضع سنوات سيداتى سادتى التقيت بالرصافى وهذا اللقاء يرجع عهده الى ما قبل ١٩٤٠ التقيت به كغيرى من السودانيين الذين كانوا وما زالوا يتابعون حركة التطور الفكرى الذى يمس الحياة فى كل جوانبها الحية فى الشرق العربى وبنوع خاص فى العراق ، التقيت به فى شعره الذى كان يصل الى الناس فى السودان فى نفس الوقت الذى يصل فيه الى العراقيين ولعلى لست مبالغا ان قلت انه يصل فى بعض الاحايين الى الناس فى السودان قبل أن يصل الى بعض العراقيين أنفسهم فالناس هناك كانوا ، وما يزالون ، يتلقفون بنهم آثار رجال الفكر من الشعراء والادباء • ما أكثر ما تحدث الناس الى الرصافى والزهاوى وما أكثر ما استمع الناس اليهما ولعل الرصافى كان يبلغ أقصى الرضى عن السودانيين وهو يستمع الى جدلهم حول شعره وآرائه ولعله أيضا كان يثور فى بعض الاحايين وينزل غضبه ويسخر حين يراهم ينقدون بعض قصائده ويرفضون أشد الرفض بعض آرائه كل هذا الى ما قبل ١٩٤٠ ، أما بعد هذا فأغلب الظن ان الرصافى كان يكتفى بالتذكير والاشارة الى قول فيلسوف المعرة :

لا تظلموا الموتى وان طال المدى

انى أخاف عليكم أن تلتقوا

انه أمر طبيعى أن يجد شعر الرصافى السائر طريقه الى السودان ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا فى الهم شرق فالظروف القاسية التى كان يعيش فيها السودان تشبه الظروف القاسية التى كان يعيش فيها العراق واذا فلا عجب اذا كان السودان أرضا خصبة للشاعر الثائر •

وقعت بين يدى دراسة عن الرصافى قام بها الدكتور بدوى واستوقفتنى عرضا العبارة التالية : ولم يكن جزاء الرصافى غير جزاء غيره من الاحرار الذين تشبثوا بأذيال الحرية وأخذوا على أنفسهم أن يكونوا من ضحاياها وشدائها فقاسوا قسوة الزمن « تشبثوا بأذيال الحرية » هذه استوقفتنى وان هذا التعبير لا يخلو من الموسيقى الشعرية ولكن رجوت أن تكون هذه الالفاظ قصد بها أداء معنى هو ان الرصافى عاش الحرية ولم يتشبث بأذيالها فقط وان جزاء الرصافى وان بدا للناس يومئذ فى صورة قسوة الزمن ان جزاءه الحق هو اعتراف الملايين بأنه حمل معوله وحطم ما حطم وعبد الطريق لهذه الحرية التى ينعم بها العراق اليوم .

واستوقفتنى أيضا عبارة اخرى هى :

والخلاصة كان الرصافى معدودا فى هذه الفئة الثائرة الغالية فى ثورتها كما تدل على ذلك جملة من آرائه فى كتبه المنظومة والمنثورة . اننا نؤمن بأن الفضيلة حد وسط تتفق مع كاتب هذه العبارة ولكننا نؤمن فى الوقت نفسه بأن التقاليد والعادات والافكار الراسخة القدر الذى يحول دون تطور المجتمع والقدر الذى تدافع عنه وتحميه فئة غالية فى تصرفها . اننا نؤمن بأن الذى يرد التطرف الى الاعتدال هو الثائر المتطرف أمثال الرصافى والرصافى ظل ثائرا يتمنى لعراقه الحرية والقدر الساخر لو أمهله وقتا من زمان لرأى آماله الكبرى تتحقق ولخرج من اعتزاله ووقاره فرقص مع الناس رقصة الحرية يوم ١٤ تموز ولعانق كل فرد فى دار السلام مبتدئا بكريم العراق ومنتهيا به .

كلمة الاستاذ حامد روابحية

رئيس الوفد الجزائرى

سيدى الرئيس ، سادتى اعضاء لجنة الاحتفال بذكرى شاعر العروبة الكبير معروف الرصافى . أيها الملأ الكريم أحييكم بتحية العروبة .

وبعد لى الشرف بأن أدعى للاسهام فى هذا المهرجان ، ولى الفخر بأن القى بنفسى فى هذه الحلبة حلبة فرسان الادب العرب فى الذكرى العزيزة والحبيبة الى قلوبنا جميعا ذكرى فارسنا الرصافى العظيم الذى ملأ الدنيا بأدبه وهزها بشعره . وأيقظ الغافلين ودفع بالمترددين وأثار الحمية وعبأ الحماس . الرصافى الذى يقول :

ولم أر للايام أشنع سبة　　لعمرك من ملك العلوج على العرب

اخوانى : اننا فى ذكرى من أشرق الذكريات ، اننا نحيى شاعرا كان مثالا للوطنية الصادقة ونموذجا للثائر الحر شاعرا تغنى لتموز فى حوادثه الصغرى ونظم فيها قلائد من النجوم ونحت لها أقلاما من الماس ومدادا من الذهب وطروسا من الابريز فقال :

يا شهر تموز لا راعتك رائعة　　ولا لقيت من الاحداث ارزيزا
يا شهر تموز قد زينت رايتنا　　بالعدل توشية فيها وتطريزا
من لى بأنجم هذا الافق أنظمها　　قصائدا فيك مدحا أو أراجيزا ؟
أو أنحت الماس اقلاما معرضة　　أمدها ذهبا فى الطرس ابريزا
وأجعل الجو فى تموز أمدحه　　طرسا أجادته كف النور ترزيزا

فكيف لو شاهد معجزته الكبرى ورأى يومه الرابع عشر الذى كان حدا فاصلا بين عهد مضى غير مأسوف عليه ، عهد كله ظلم وطغيان وذل

واستعباد ، وبين عهد اندكت فيه تلك الصروح التى شيدت فوق جماجم الاحرار وقضي فيه الى الابد على شرعة المستعمر التى وصفها لنا شاعرنا الرصافى فى قصيده المشهور « الحرية فى سياسة المستعمرين » .

يا قوم لا تتكلموا	أن الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا	ما فاز الا النوم
وتأخروا عن كل ما	يقضى بأن تتقدموا
ودعوا التفهم جانبا	فالخير ألا تفهموا
وتشبثوا فى جهلكم	فالشر أن تتعلموا
أما السياسة فاتركوا	أبدا والا تندموا
أن السياسة سرها	لو تعلمون مطلسم
واذا أفضتم فى المبا	ح من الحديث فجمجموا
والعدل لا تتوسموا	والظلم لا تتجهموا
من شاء منكم أن يعيش اليوم وهو مكرم	
فليمسِ لا سمع ولا	بصر لديه ولا فم
لا يستحق كرامة	الا الأصم الأبكم
ودعوا السعادة انما	هى فى الحياة توهُم
فالعيش وهو منعم	كالعيش وهو مذمم
فارضوا بحكم الدهر مهما كان فيه تحكم	
واذا ظُلِمتم فاضحكوا	طربا ولا تتظلّموا
واذا أهنتم فاشكروا	واذا لُطِمتم فابسموا
ان قيل : هذا شهدكم	مرّ ، فقولوا : علقم
أو قيل : ان نهاركم	ليل ، فقولوا : مظلم
أو قيل : ان ثمادكم	سيل ، فقولوا : مفعم
أو قيل : ان بلادكم	يا قوم سوف تقسّم

فتحمّـــدوا وتشـــكروا وترنحـــوا وترنمـــوا

وعندى لو أن شاعرنا لم يقـــل فى السياسة أو فى الادب أو فى الدعوة الى الثورة ضد المستعمر الغاشم الا هذا القصيد لعد سياسيا محنكا واديبا فذا وثائرا وطنيا ممتازا فما بالكم وقد ملأ الجو بمثل هذا وأحسن من هذا ؟

قلت ان الرصافى تغنى لتموز قبل أن يشاهد فجر يومه الرابع عشر . أما لو شاهد هذا الفجر الذى لاح على عراقنا الحبيب هذا الفجر الذى لاح على المشرق فهز المغرب . انه لو شاهد هذا اليوم لقال فيه أحسن مما قال فى المجلس العمومى الموهوم :

ياشرق بشراك أبدى شمسك الفلك	وزال عنك وعن آفاقـــك الحلك
أضحى بك القوم أحرارا قد اعتصموا	من النجاة بحبـل ليس ينبتـــك

ولقال فى أبطاله مما قال فى ذكرى فتى السعدون :

فيا بطلا بالنفس ضـحى وانمــا	بذلك لاستقلالنـا سنة سنـــا
فعلمنـــا أن التفـــادى واجـب	على كل قوم حاولوا شرف المغنى
. . . .	. . . .
وانـــا لقوم مستقلون فطـــرة	اذا أنكـر استقلالنا منكر ثرنـــا
فلـو جعلت تبرا سبيكا بيوتنـــا	ولسنا بحكام أبينـا بهـا السـكنى
. . . .	. . . .
ولسنا نبالى دون احيـــاء مجـدنا	أعشنا على وجه البسيطة أم متنـــا
اذا أدرك المجــــد المؤثل معشر	أحادى فانـــا نحن ندركـه مثنى
نفوسا ورثناها كبـــارا ابيـــة	أبت فى الدنى أن تحمل الضيم والغبنا

ثم ماذا عساه يقول فى ثورة عارمة كثورة الجزائر وهو الثائر الابى والحر المتمرد الذى يعاف الخنوع والمؤمن بان هــذا الشرق لا ينهض من كبوته ولا يقال عن عثرته الا متى شمر عن ساعديه وركب متن سيفه :

ألا انض وشمر أيها الشرق للحرب
وقبل غرار السيف واسل هوى الكتب
ولا تغترر أن قيل عصر تمدن
فان الذى قالوه من أكذب الكذب
ألست تراهم بين مصر وتونس
أباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب

فالحق كما قال زميل له شاعر ان لم يؤيده حد السيف ، والمنطق ان لم تعززه أصوات المدافع لا خير فيهما :

من لى بجيل مستجد لم يرث الا عن الجد القديم الأبعد
. . . .
ان قام يثبت حقه فدليله قصف المدافع أو صليل مهند
لا خير فى حق يقال ومنطق عذب بحد السيف غير مؤيد

انى متأكد بأن الرصافى لو بقي حيا حتى شاهد هذا الجناح من جسم العروبة يثور ويضرب أروع الامثال فى البطولة والفداء . ويصارع أكبر قوة استعمارية شريرة وينزل بها الهزائم المتلاحقة . لو بقي حيا حتى شاهد ذلك لاستحال هو نفسه الى صاروخ فقذف الحمم على الطغاة أو بارود يفجر الارض على المعتدين تلك الارض التى اغتصبوها واستباحوا أهلها وأكلوا لذيذ العيش على جثث موتاها .

كيف لا وهو الشاعر الذى كان يتألم لآلام اخوانه على اختلاف أوطانهم فقد تألم لدمشق واستنهض الهمم العربية لنجدتها فيقول فى قصيدته « دمشق تندب أهلها » :

. . . .
فقالت وقد القت الي بنظرة عن القصد فيها معرب ومبين

أنا البلدة الثكلى(دمشق) ابنة العلى أما أنت فى مغنى دمشق قطين
ألم تر أبنائى يساقون للردى فمنهم قتيل بالظبى وسجين
فأين أباة الظيم من آل يعرب ألم يأت منهم ناصر ومعين
فقلت لها لبيك يا أمُ انهم سياتيك منهم بارز وكمين
سندرك فيك الثأر من أنفس العدى ونوقد نار الحرب وهى زبون

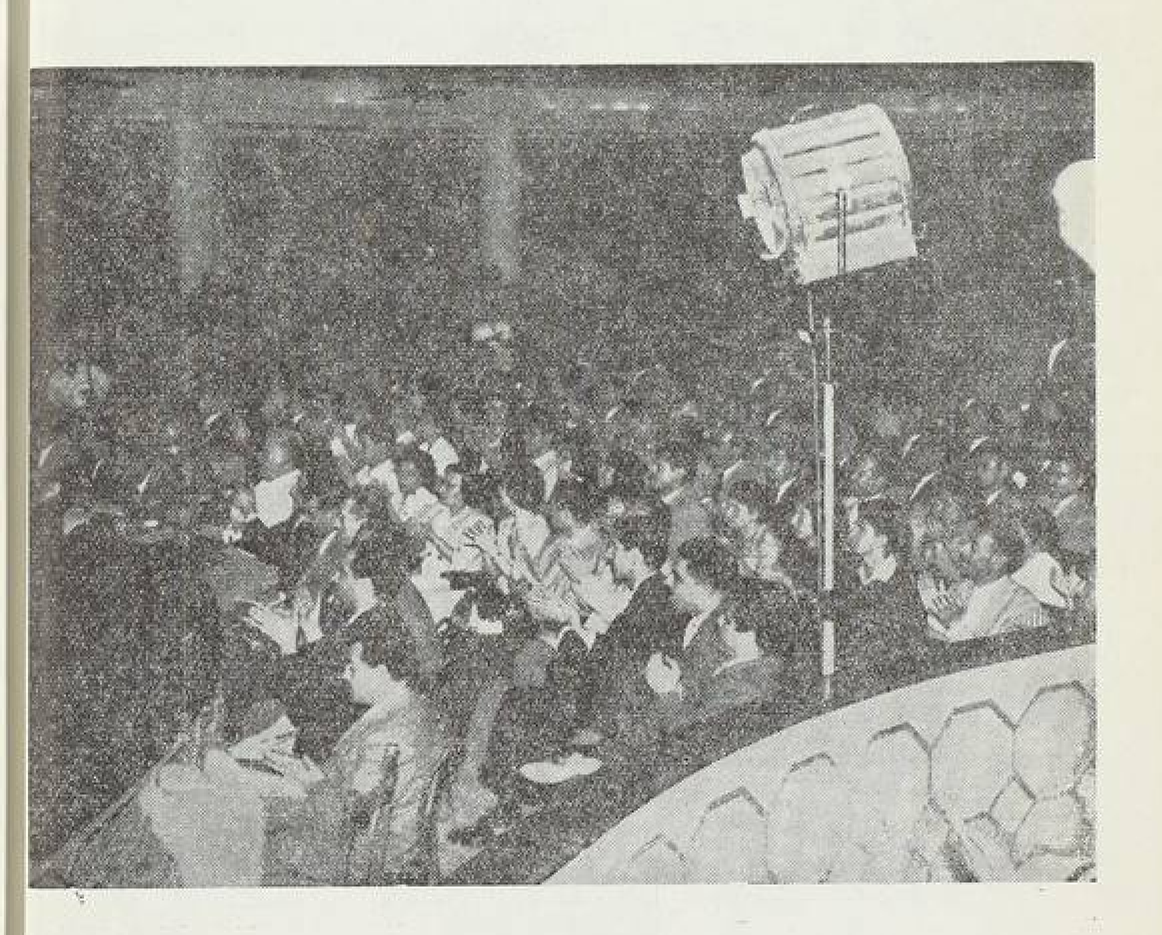
كما بكى وتفجع على ليبيا حين حلت بها الكارثة ونكبت بنكبة المستعمر الايطالى الاثيم متوعدا جيش المغيرين بالنقمة والثأر فيقول :

سنثأر حتى تسأم الحرب ثارنا ونقتل عن كل امرىء أنفسا عشرا
واني لتغشاني اذا ما ذكرتكم لواعج حزن ترتمى فى الحشا جمرا
على أن قرص الشمس عند غروبها يذكرنى تلك الدماء اذا احمر[١]
فأبكى تجاه الغرب والبدر لائح
من الشرق حتى أبكى الشمس والبدرا

وهو كثائر من الطراز الاول وكأنسان لا يتحمل الضيم فطبيعى أن تكون أغنيته المفضلة فى سبيل ادراك ما يتمنى هى قعقعة السلاح وصليل السيوف وغمغمة الابطال فى يوم الوغى :

نحن للحرب العوان ولأدراك الامانى
لا نعد العرس الا يوم ضرب وطعان
يوم نحسو من دم الاعداء لا بنت الدنان
ما صليل السيف الا عندنا صوت المثانى
شفنا الحب لبيض الهند لا البيض الحسان
نشتهي غمغمة الابطال لا عزف القيان
نحن لا نفخر الا بلسان من سنان

ايها السادة بهذه الابيات من شعر الرصافي أحيي الرصافي في ذكراه، ومن شعب ثائر أحمل له نفحات من الثورة الجزائرية أزفها اليه مساهمة مني في ذكراه الاولى في عهد ثورة اعترفت به كبطل من أبطال معركة التحرير فجعلت ذكراه حية في عقد أعيادها الخالدة • فسلام على الرصافي يوم ولد وسلام عليه يوم تغنى بأمجاد العروبة واستنهض الهمم لتحرير الوطن وسلام عليه يوم مات طاهرا نقيا وثائرا ابيا •



الرصافي نصير العمال والعدالة الاجتماعية

للاستاذ مهدى العروسى المطوى (عن تونس)

للشاعر الملهم جوانب عديدة تدعو الى الدرس ، وتستدعى البحث. ومنزلة الشاعر تسمو بما لها من وشائج المزج والامتزاج مع المجتمع الدى وجد فيه . وسر خلود الشاعر ليس فى فنه وحسب ، وانما فى روحه ومشاعره ، فى تفاعله مع مجتمعه وانفعاله به .

وعلى هذا الاساس كان خلود الشعراء . وكان اتساع خلودهم وامتداده بقدر ما لهم من طاقة لشمول الانسانية وامتدادهم فيها .

ذلك أن الانسان كشاعر ، وحب للخير ، وتوق الى الطمأنينة ، وهى منذ أن كان للانسانية وجود بمعناه الاجتماعى والنفسانى .

ولم يكن معروف الرصافى بعيدا عن مجتمعه بل كان منه : كان يتألم لآلامه ، يصف أحاسيسه وتوقه الى المستقبل الافضل والطمأنينة .

وعد الى ديوان الرصافى ، وانظر الى الزمن الذى عاش فيه ، والى الشعب الذى كان منه .

انك اذا عدت الى الديوان ، وعدت الى التاريخ تجد من شعر الرصافى صورة صادقة لما كان يهفو اليه الشعب العراقى ، ويكدح فى سبيله ، ويعمل لنيله .

كان العراق يئن من الحيف الاجتماعى ، والنظام الطبقى ، كان يريد التخلص من الفقر والجهل ، والتأخر فى ميدان الصناعة والانتاج .

كان يتطلع الى حرياته الاجتماعية والسياسية ، والى التحرر من المستعمرين والغاصبين . وكان العامل يرى غبنا لحقوقه ، واغتصابا لعرق

جبينه ، وكان يرى نكرانا لجهوده وجحودا لرأسماله .

كان الشعب فريسة الخرافات والاضاليل ، يعانى ضروبا من الاوهام والاباطيل . اختلطت امجاد الماضى برواسب الانحطاط ومخلفات التدهور ، فالتاث عليه الامر واختلطت عليه المسالك فاشرأبت أعناقه الى ملامح من نور المصلحين ، وانتصبت آذانه تلتقط صرخات رواد اليقظة والتوثب ، عسى أن يمسك بالمشعل لينير الطريق ويبدد الظلمات .

كان هذا بعضا مما يعانيه المجتمع العراقى زمن أن كان الرصافى يأخذ أنفاسه فى الحياة . وكان هذا أيضا بعضا مما تجده عند الرصافى فى شعره وديوانه .

ومما لفت نظرى من شعر الرصافى بوجه خاص أمران : الاول الدعوة الى التصنيع ، والثانى مناصرة العمال .

أما الامر الاول فيصور فيه الرصافى كيف أن التأخر الصناعى الذى عليه البلاد لم يكن فى كنهه سوى قيد فولاذى يقيد به الغرب الاقطار المتخلفة صناعيا ، وان لا سيادة للاوطان ما دامت ترزح تحت هذا التخلف، بل ان سيادة حكام تلك الاوطان ما هى سوى عبودية وذلة .

والرصافى يجعل السيادة تدور مع الغنى وجودا وعدما ، الا أنه لا يعنى به مجرد الغنى ، بل الغنى الذى يسد الحاجة عن الاجنبى ، الغنى الذى يكون هدفه الاول التصنيع . ان امتلاء الجيب والخزانه بالنقود لا يكفى، اذ ليست قيمة النقود أن تدفع بها الى الخارج فى سبيل حاجاتك . انما قيمة النقود أن تصنع بها أنت تلك الحاجات .

وتنقدح قريحة الرصافى عن تشبيه هو على جانب عظيم من التفظيع والواقعية حين يجعل الغرب بمصنوعاته يسلخ المتخلفين صناعيا سلخ الشياه وأن سفنه التى تأتى محملة ببضائعه لم تكن الا محاجم تمتص دماءهم ، أو دودا عالقا بأجسادهم :

أو ما ترى أهل البلاد تقيدوا ... للغرب من حاجاتهم بقيود
الغرب يكسوهم ملابس هم بها ... يعرون من مال لهم ونقود
وتراه يسلخهم بمصنوعاته ... سلخ الشياه فهم بغير جلود
هذى سفائنهم تروح وتغتدى ... ببضائع لم تحص بالتعديد
فكأنما هى لامتصاص دمائهم ... بعض المحاجم أو كبعض الدود
يا سادة الاوطان لستم سادة ... ما عشتم من فقركم كعبيد
أفسيد من عاش وهو لغيره ... فى حاجة بل ذاك عيش مسود
ان السيادة تستدير مع الغنى ... فى حالتى عدم له ووجود[1]

أما نظرة الرصافى الى العمال فنظرة فيها سمو ونبل ، وفيها اقرار لحق العامل فى نيل حقوقه الاجتماعية ، ويجعل طيب الحياة الاجتماعية انما هو بفضل العامل دون سواه ، ولهذا لا ينبغى أن يغمط حقه ، أو يهضم جانبه اذ قيمة الانسان فى الوجود انما هى بقيمة انتاجه وسعيه الدائب • وما هو رأس المال ؟ انه لا يعدو أن يكون أداة بيد العامل ليحقق الرفاه الاجتماعى • ان رأس المال بدون العامل لا يساوى شيئا ولا يجدى نفعا •

ورغم خطورة العامل ومنزلته الاجتماعية فلم يكن منظورا اليه بعين الاحترام والتقدير ، ولهذا دعاه الرصافى الى التكتل والتجمع ، دعاه الى الاتحاد والمناصرة حتى يزيل عنه شظف العيش وكابوس الحرمان ، وحتى ينال اعتباره وتقديره •

وهكذا لم يكن موقف الرصافى من العمال موقف الوعظ السلبى بل كان موقفا ايجابيا فعالا :

ان يطب فى حياتنا الاجتماعية عيش فالفضل للعمال
واذا كان فى البلاد ثراء ... فبفضل الانتاج والابدال
حيث يسعى الفقير سعى أجير ... لغنى مستأثر بالغلال

(١) الديوان ص ٩٤ •

ليس قدر الفتى من العيش الا قدر انتاج سعيه المتوالى
ما رؤوس الاموال الا أداة للمساعى كالحبل للاحمال
صاح ماذا تجدى الدنانير لولا همم الدائبين فى الاشغال ؟
أيها العاملون ان اتحادا بينكم مرخص لكم كل غالى
ما لعيش تشقون فيه سقاما بسوى الاتحاد من ابلال
فليكن بعضكم لبعض نصيرا ومعينا له على كل حال
واذا قلت انكم أنتم الناس جميعا فلا أكون مغالى
ثم قولوا معى مقالا رفيع الصوت فلتحى زمرة العمال

وانه لمن دواعى البهجة أن تقام للرصافى هذه الذكرى والعراق فى طوره الجديد ، مقبل على نهضة صناعية عظيمة ، وعلى نهضة عمالية جبارة ، أرجو لها مخلصا أن تكلل بالنجاح والتوفيق .



الحلقة الثانية

السبت ١٨/٤/١٩٥٩

١ ـ كلمة الدكتور مهدى المخزومى ـ عن الجامعة

٢ ـ كلمة الدكتور ابراهيم السامرائى ـ عن لجنة الارتباط

٣ ـ كلمة سيادة الاستاذ مصطفى على وزير العدل

٤ ـ كلمة سيادة العقيد فاضل عباس المهداوى

تحية الجامعة فى مهرجان الرصافى

للدكتور مهدى المخزومى عميد كلية الآداب

لم يكن من قبيل المصادفات أن يحيى اتحاد الادباء العراقيين ذكرى شاعر مناضل حر كالرصافى ، بل كان احياء هذه الذكرى وتصدى اتحاد الادباء لاحيائها استجابة لثورة الرابع عشر من تموز ، ومظهرا من مظاهر النبل الذى اتسم به الشعب العراقى البطل •

ان ثورة الرابع عشر من تموز ثورة امتدت جذورها الى التاريخ البعيد ، وتمتد فروعها الى المستقبل البعيد أيضا ، فلم تكن لتكون بتراء ، ولم تكن لتولد عاقرا ، فقد ولدت حبلى لتلد فى كل يوم ثورة حبلى أيضا ولتلد هذه الثورات جميعا أمجادا لا نهاية لها ، وتقدم لشعبنا العظيم مكاسب لا حد لها •

لقد عمرت هذه الثورة مرحلتنا التاريخيةالحاضرة بانتصارات ومكاسب، ولها من القوة الكامنة ما يعمر المراحل التاريخية الآتية بمثلهذه الانتصارات والمكاسب ، لان الشعب يرعاها ويتعهدها بالنماء ، ولان فى مقدمة الجماهير ثائر بطل يحثها على الاقدام وحاد يعرف مسالك التاريخ فى حيث لا يضل شعب تعلق به •

لقد حفظ الزعيم للادب ما انطوى عليه من روح النضال وللادباء مابذلوه فى نضالهم المتواصل ، وقد شرح الزعيم للادباء فى مقابلتهم الاولى اياه كيف كان نضال الادباء رائدا لجيش التحرير ، وكيف أسهم الادب فى التمهيد لثورته الجبارة وألهب فى الشعب روحه الثائر المتمرد على كل طغيان واستبداد وفتح الزعيم أمام الادباء فىتلك المقابلة سبيلهم الى اتحادهم العظيم ، اتحاد الادباء العراقيين •

لقد لفت الزعيم الاذهان الى شعرائنا المكافحين الذين حرموا أنفسهم لذائذ الحياة وكان فى وسعهم أن يعبوا منها ما يعبون لو استراحوا الى حياة يمدها الاستعمار بالرغد الذى يفيض على الخونة ، وقد أبى شعراؤنا مغرياته، لانهم يحملون فى جوانحهم روح هذا الشعب ونبله وثورته ، ولانهم يتحملون رسالة الحرية ، ويشعرون أن فى أعناقهم أمانة يجب أن يؤدوها كأحسن ما تكون التأدية .

وكان معروف الرصافى نموذجا حيا للاديب الحر ، كان هو وزملاؤه والذين تلمذوا له جيشا قويا قارع — وهو أعزل الا من الايمان بالحرية — جيوش البغى التى استباحت حمى العراق الابى ، وسلطت عليه من خدمها الدخلاء الحاقدين حكاما عاثوا فيه فسادا ، فكان شاعرنا الخالد برما بأولئك وهؤلاء حاقدا على اولئك وهؤلاء ، ساخرا من اولئك وهؤلاء . وقد شعر الحكام الخونة اذ ذاك بخطره ، وبتصميمه على تأدية رسالته وبتأثيره فى جماهير الشعب ، فوجهوا اليه بطشهم ، وثارت عليه ثائرتهم ، وحاربوه فى أمنه ورزقه فرد عليهم الكيل كيلين قصائد دمغتهم بالخزى وغزت قلوبهم بالخوف ، وعرتهم أمام الاجيال مسخا مشوها ، وراحت قصائده فى الطغاة تهتك أستارهم وتكشف معايبهم وتظهر مواضيع الضعف فى كيانهم حتى أصبح هؤلاء الطغاة لعقا على ألسنة الصبايا والصبيان يتندمون بهم فى لهوهم وفى وجدهم ، وحتى أصبح جلاوزته المتهرئون نماذج للحكام الفاسدين ، وحتى أصبح الشعب يلعن الساعة التى سلطتهم عليه ، ويتوقع الساعة التى تنقذه منهم ، وكانت ساعة الصفر لثورتنا المباركة هى هذه الساعة التى جلجل صوتها مؤذنة بانفتاح باب جديد لتاريخ جديد .

لقد قاسى الرصافى من أولئك الطغاة ما قاساه المناضلون الذين كتبوا تاريخ شعبنا البطل من بطش واضطهاد وحرمان ، وادراك الطغاة ما للرصافى من أثر فى تقويض حكمهم الفاسد ، فضيقوا عليه الخناق ، وحاربوه حيا

يرزق، وقاوموه بمحاولتهم طمس آثاره ، وحملهم الناس بالبطش والارهاب على نسيانه ، ولكن الرصافي عاد رمزا للبطولة والـكفاح ، وعـاد غـذاء للنفوس والافطار ، وعاد بكفاحه شعارا تحلت به صدور المناضلين الشرفاء ، ورمزا يشير الى ما انطوى عليه شعبنا من حب للتحرر وتصميم على الكفاح واباء للضيم وحقد على الخيانة .

وكانت ميتة الرصافي على النحو الذى انطفأت فيه تلك الشعلة الوطنية الوهاجة لعنة أقضت مضاجع الطغاة ، وراحت تطاردهم وهم ذرات تطوف بها الرياح .

* * *

كان للرصافي بجامعة بغداد صلة خاصة ، فهى تحفظ له ذكراه أبنا وفيا لها ، وأبا لجيل من المتخرجين فيها ، فقد كان استاذا فى كلية التربية ، وله آثار خلفها للطلبة الجامعيين ممن لم يعاصره ، ولم يتلمذ له .

وستبقى الجامعة تحفظ له هذه الذكرى الطيبـة ، وهى معتزمـة أن تخصص جائزة باسمه الخالد للمتخرج الاول فى الادب العربى بكليـة التربية تتكرر كل عام ، وهى معتزمة أن تخصص جائزة مقدارها مائة دينار فى مسابقة أدبية للدارسين الجامعيين تمنح أحسن بحث علمى يتناول جانبا من جوانب الرصافي الادبيـة ، وسوف تنشر الجامعـة هـذا البحث الحائز الجائزة وتنفق على اخراجه .

ان جامعة بغداد التى تؤمن بحرية القـول وحرية الفـكر ، والتى تعمل جاهدة على تلقين الاجيال هذه الحرية لتحى ذكرى هذا الشاعر الحر، وتحمد لاتحاد الادباء العراقيين هذه الالتفاتة الكريمة فى اقامة هذا المهرجان الذى يعكس للشعوب العربية ، والشعوب المحبة للحرية ، صفحـة بيضـاء كريمة من صفحات البطولة التى انطوى عليها الشعب العراقى العظيم .

كلمة الدكتور ابراهيم السامرائى

عن لجنة الارتباط

أيها السيدات والسادة

انه لشرف عظيم يمليه على شرف هذه المناسبة التاريخية المجيدة ، وهو أن أندب فأقول مع القائلين فى هذا الحفل العظيم فاشارك فيه باسم المنظمات والهيآت الشعبية واحيى ذكرى الرصافى الخالد . هذه الذكرى لم يتح لها الامس البغيض أن تكون وأن تقام ، ذلك أن الراحل العظيم كان حربا على ظلم الامس وظالميه ، وعلى حكامه وأرباب سطوته ، فلم تلن له قناة والايام عوابس حالكات ، ولم ينخرم له عزم والطريق موحش الجنبات ولم يهن ، ولم يستخذ ، وقد عانى ما عانى وظل قوى العزم أبى النفس صلب الفؤاد . لم يبهره السلطان ، ولم تنل من نفسه الكبيرة ملاذ الحياة ، فقد آثر خشونة عيشه ورقة حاله وأن يظل وهو لا يصيب الا التافه الحقير من أسباب هذه الحياة ، ولكنه بقى نقى الثوب طاهر الذيل عف الضمير . وليس عجيبا أن يكون كما كان فهو القائل :

ويل لبغداد مما سوف تذكره
عنى وعنها الليالى فى الدواوين

لقد سقيت بفيض الدمع أربعها
على جوانب واد ليس يسقينى

ما كنت أحسب أنى ، مذ بكيت بها
قومى ، بكيت على من سوف يبكينى

أفى المروءة أن يعتز جاهلها
وأن أكون بها فى قبضة الهون

وأن يعيش بهـا الطرطور ذا شمم

وأن اسـام بعيش جدع عرنـين

تالله ما كان هـذا قط من شـيمى

ولا الحيـاة على النكراء من دينى

ولست أبذل عرضى كى أعيش به

ولـو تأدمت زقـوما بغسـلين

أغنت خشونة عيشى فى ذرى شرفى

عما أرى بخسيس العيش من لين

وقد أبت عليه نفسه العالية الا أن يظل جبارا شـامخا ازاء جبروت السلاطين واستبداد أرباب العروش ، والسلطان يومئذ عات قاس متجبر ، يصدر فلا تخالف ارادته قوة دنيوية ، ويبطش فلا يجد من متنفس يرد عليه هذا البطش ، بيد أن الرصافى الشاعر يضيق ذرعا فيحتج ويقول :

عاهدت نفسى والايام شـاهدة

ألا أقر عـلى جـور السلاطين

ولا أصاحب كـــذابا ولـو ملكا

ولا أخالط اخـــوان الشياطين

أما الحيـــاة فشىء لا قـــرار لـــه

يحيـا بها المـــرء موقوتا الى حين

ولعل وقفته عند « يلدز » مخاطبا السلطان السجين المخلوع ، تشير الى العسف والطغيان والاستبداد الذى مني به الناس وقد ضاقت به نفس الشاعر الكبير فقال قصيدته التى مطلعها :

انمـا نحن امـــة تدرأ الضيم وتـأبى أن تســكين لـــوالى

فــاذا ما غــلا الغشــوم نهضنا

فقذفنـــاه سافـــلا من عـــال

نمـــلأ الارض ان مشينا لحـــرب

بزئـير الغضنفــر الرئيـــال

واذا ما غـــلا المليــك رددنــا

ه ذليـــلا يقـــاد بالاغـــلال

ويعود الشاعر ينذر الملوك ويحذرهم أن يعتبروا بعبد الحميد فيقول :

يا ملوك الانـــام هـــلا اعتبرتم

بملـــوك تجـــور فى الافعـــال

ليس عبد الحميد فـــردا ولكن

كـــم لعبـد الحميد من أمثـــال

ويتغنى الشاعر بالحرية ويطلبها حرية كاملة ويجعل منها غاية لايسعد قوم من دونها وما الاستقلال الا شىء تافه ان لم ينعم الناس فيه بظل حرية وارفة • وهو يعجب من أجل هذا أن تكرم مصر شاعرها شوقى والحرية فيها موءودة وهو يقول :

اذا احتفلت مصر بشوقى فما لها

تقيم على الاحرار فى العلم حاجرا

ثم يقول :

اذا لم تك الافكار فى مصر حـرة

فليس لمصـر أن تكـرم شاعـــرا

ولم ينقطع الرصافى الى العراق دون سائر البلاد العربية ، فقد خص بشعره دنيا العرب جميعا من ديار المغرب الى اقطار شبه الجزيرة العربيـة وهو من أجل هذا شاعر العرب جميعا يتغنى بأمجادهم ويشيد بمآثرهـم ويهتز لآلامهم ويندد بظالمهم • وكان يؤلمه أن يجد بين أبناء العربيـــة من

ينادى بالاقليمية الضيقة ، فقد عاب المصريين مثلا أن يتمسكوا بهذهالاقليمية ويتعصبوا لها وكأنهم لا يربطهم بدنيا العرب أية رابطة فالاديب هو المصرى والشاعر من درج فى ارض الكنانة والى هذا يشير :

فالشاعر المصرى فيهـا فاضـل
وسـواه مفضول وان يك نابهـا
وكأنمـا كانت مـواهب ربنـا
مقصـورة فيهـا عـلى كتابهـا

الى أن يقول :

من أين كانت مصر فى أقباطهـا
كمواطن الاعـراب فى اعرابهـا
أبت العروبة ان يفوق هـزارها
صـرد زقى فى مصر زقي غرابها

ولعل مصر لم تخرج عن هذه الاقليمية سنين طويلة بعد هذه الحقبة التأريخية فهذا هو شاعر العربالاكبر الاستاذ الجواهرى يعتبعليهم ويعيب عليهم هذا الضيق الفكرى وهذه الاقليمية الضيقة فيقول فى قصيدته « الى الشعب المصرى » :

واذا عتبت فمثلما حس الثـرى
غيث تخـلله سحاب أكـدر
يا مصر لاعمت البسيطة شملهـا
فالكون أصغر ، والمسافـة أقصر
وتلاقت الدنيـا فكـاد مشرق
من اهلهـا بمغـرب يتعثـر
ويكاد بيت فى العراق بجـذوة
مضرومة فى « تُبَّت » يتنـور

وهنـــا يكـاد بمصر يسأل أهلهـا

هل في العراق أعاجم أم بربر ؟

اما أنا فأقول قول صاحب المثل السائر « ما أشبه الليلة بالبارحة » .

ولعل من واجب المنظمات والهيئات أن تحتفل بهذه الذكرى المجيدة، ذلك أن شاعرنا الكبير قد عمل من أجلها وانتسب لها ، وغنى لها بشعره فقصائده « نحن والماضي » و « الى ابناء الوطن » و « في سبيل الوطـن » شواهد ناطقة تشير الى أن الشاعر قد أحبه الناس وعاش لهم وفنى مـــن أجلهم . والمجد والخلود للرصافي الكبير وأن من مفاخر هذا العهد الجديد عهد الثورة المباركة التي تشوف لها الشاعر الكبير وكأنه كان على مرأى منها أن يحتفل بهذه الذكرى ذكرى الشاعر الثائر والمجاهد الصابر وهـــو القـــائل :

الشعب في جزع فلا تستبعـــدوا

يوما تثـور به الجيـوش وتزحف

ولكن الشاعر قد تمر به أيام عجاف عابسات يضيق بها فيقول مثـلا في قصيدة له يرثي بها الكاظمي الشاعر :

أفينسى حيا ويذكر ميتـا   ان هذا ما تنكر العقلاء

ومن حقه أن يذهب هذا المذهب . وقد تنكر له زمانه وضاق به ولاة الامر . والمجد والخلود للشاعر الكبير .

الرصافي والبيت الهاشمي

كلمة سيادة الاستاذ مصطفى علي

وزير العدل

من حق الثورة العراقية الجبارة علي أن انوه بذكرها وأشكرها ، ومن حق زعيمها الخالد أن أشيد بعزمه وحزمه ، وأحمد بسالته واقدامه • فلولا الثورة وزعيمها لما اتيحت لي هذه الفرصة التي ترونني أتحدث اليكم فيها بحرية وصراحة عن ناحية غامضة من حياة الرصافي أعتقد أنكم كنتم تشتاقون اليها ، وتتمنون أن تقفوا على كنهها وحقيقتها • ولولاهما لظلت هذه الحقيقة حبيسة ركن من أركان مكتبتي ، أسيرة الدفاتر والاوراق ، ولا أعلم ما الذي يضمر لها الدهر من مصير بعدي • ولولاهما لما ظفرت بهذه الساعة التي كنت يائسا من الظفر بها • وكم من يأس قاتم استولى علي بددته الثورة ، وكم من أمل في رقي الشعب وتقدمه فقدته فأعادته الي • ففي العهد الجمهوري الزاهر الذي أهدتنا الثورة اياه نشهد اول احتفال اقيم لاحياء ذكرى الشاعر الحر الشجاع بعد اربعة عشر عاما مرت على وفاته • وما كان يحول دون اقامته الا البيت القائم بالامر في ذلك العهد الزائل وان لم يستطع أن يحول دون الاحتفالات التي كان يقيمها الشعب في قلوب ابنائه لشاعره المخلص الثائر على الظلم وطغيان الحكام المستبدين • فقد حورب الرصافي بعد وفاته كما حورب في حياته التي سلخ فيها سبعين عاما دون أن يرى فيها ما يسمى بـ « الرفاهية » كما أشار في وصيته •

حاربته الفئة الباغية في حياته لانها رهبته وخافته وهي صاحبة القوة والبطش ، وليس الرصافي ـ كما قال ـ « من أولى حمل السلاح

المسدس ، الذى يرهب ويخيف بل كان أعزل الا من اخلاص لشعبه ووطنه ، والا من ايمان راسخ فى حقهما فى الحياة ، وفوزهما بالحرية والاستقلال •

كان سلاحه الذى أخافهم لسانه الذرب الذى لا ينطق الا بما يعتقده حقا ، ولا يصدع الا بما يراه صوابا • وكانت قوته التى أرهبتهم قلمه الحر الذى يهز النفوس ، ويلهب المشاعر ، ويستثير الهمم والعواطف •

هبوهم رهبوا صولته فى حياته فناوءوه وحاربوه فيم هذا الخوف وعلام هذه الرهبة بعد وفاته ، وقد بات معطلا عن استعمال سلاحه ، واستخدام قوته ؟!••

هذا السؤال تجدون جوابه فى ضمائر أعدائه ومناوئيه •••• تقفون عليه فى قرارات نفوسهم الحائرة الواهنة التى كانت تستشعر خيانتها للشعب فتخاف بأسه وصولته ، وتحس باساءتها له فتخشى ثورته وانتقامه • والرصافى لسان الشعب الذى يعبر عن شعوره المكظوم، ويترجم عن خفايا صدره ومكنون ضميره •

كان الرصافى العدو الصلب العنيد للاستعمار • حاربه طوال حياته وما هادنه ، وحارب صنائعه وخوله حتى أقض مضاجعهم ، وأقلق راحتهم• وما موقفه من البيت الهاشمى الا لانه كان الدعامة التى اعتمد عليها الاستعمار الغاشم الكريه ، ولانه كان عونا وناصرا فى تنفيذ مآربه واغراضه ، وتحقيق مراده ومقاصده •

ان الخلاف الذى كان بين الرصافى وهذا البيت شائع يعرفه الشعب العراقى وغيره فما أتيتكم من هذه الناحية بجديد ، الا أن دقائقه وتفاصيله خافية ، ومراحله وأطواره غامضة ان لم تكن مجهولة فجئت بكلمتى هذه أكشف الستار عن أهم تلك الدقائق والمراحل بقدر ما يسمح به الوقت •

اذا رمنا أن نلم بذلك الخلاف ، ونسير في ركابه مجتازين مراحله وأطواره وجب علينا أن نعود الى الحرب العالمية الاولى : الى خروج الحسين ابن علي امير مكة على حكومته ، الحكومة العثمانية ، وموقف الرصافي منه ، وأن ندرس هذا الموقف بالنظر الى الظروف التى كانت تحيط به ، والاحوال التى كانت تكتنفه .

كان الرصافي نائبا عن العراق في عاصمة الدولة العثمانية عندما اعلنت الحرب العالمية الاولى . والرصافي من أرباب العقائد السياسية . وعقيدته يومئذ هي أن تفوز البلاد العربية بحكم لا مركزى دون أن تنفصل عن الدولة العثمانية انفصالا باتا .

من أجل ذلك كله لم يؤيد الامير حسينا في محاربته حكومة الخلافة الاسلامية في صفوف عدوها الاجنبي الذى غزاها في عقر دارها ، واحتل كثيرا من بلادها فهاجت عوامل شعوره وعقيدته فأملت على قلمه قصيدة في هجائه بعنوان « ثالث ثلاثة » ويقصد بالحسينين حسين كامل سلطان مصر ، وحسين رشدى رئيس وزرائها وهما اللذان قبلا الحماية الانكليزية على مصر في تلك الحرب . ومطلع القصيدة :

هي النفوس وان لم تبلغ الحلما

مطبوعة الطبع ان لؤما وان كرما

وفيها يقول :

قد كنت أحسب أن اللؤم أجمعه

على الحسينين في مصر قد انقسما

حتى بدت مخزيات اللؤم مشركة

من الحجاز حسينا ثالثا بهما

لكنما ذاك قد أربت جريمته

عليهما فهو أخزى جارم جرما

فذان قد أخجل الاهــرام بغيهما

وبغي هذاك أبكى البيت والحرمـا

وهى قصيدة تبلغ ثلاثة وثلاثين بيتا ضرب فيها على وتر الشعور الاسلامى كما سمعتم وكما ستسمعون • قال :

من مبلغٌ بنى الاسلام مألكــة

تبكى لها عين خير المرسلين دمـا

بأن مكـة قــد أمست معطــلة

فــلا حجيج ولا للركـن مستلما

بغى ففرق شــملا كان مجتمعـا

للمسلمين وشعبــا كــان ملتئمـا

ثم يلوم الحسين على انضوائه الى الانكليز ومناصرته لهم ، وخذلانــه حكومته فيقول :

لم يكفه فى مجـــال البغى فتنته

حتى غــدا بعــدو الله معتصما

اذ راح بالانكليز اليــوم ممتنعـا

فضاعف الشر فيما جـر واجترما

وهذه القصيدة هى التى احفظت عليه قلوب المهجو وابنائه واحفـاده وأغضبتهم عليه غضبا لم ينته الا بقطع دابرهم فى فجر الرابع عشر من تموز سنة ثمان وخمسين وتسعمائة والف •

وجه الرصافى الى الملك فيصل الاول كتابا فى سابع تموز سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة والف عرض فيه لهذه القصيدة فقال :

« ••• وقلت تلك القصيدة التى أوجبت غضبكم علي الى يومنا هذا مع أنها لم تكن صادرة عن حزازات فى النفس ، وانما كانت عن اجتهـاد

خاص ، واعتقاد تقدم بيانه • فلما جئت الى دمشق الشام ايام حكومتكم فيها علمت أن غضبكم من أجل هذه القصيدة لم يفتر كما أخبرني بعض اصحابى نقلا عن نورى السعيد مع أن كثيراً من العلماء والادباء فى سورية كانوا قد شهروا أقلامهم أثناء الحرب فى الطعن بجلالة والدكم وقد شملتموهم بأنظار الصفح والعفو جميعا • وما أدرى ما الذى استوجب استثنائى منهم، واستمرار غضبكم علي من دونهم » •

هذا موقف فيصل بن الحسين أيام حكمه فى سوريا من الرصافى : حقد دفين ، وموجدة تتأجج نارا • حتى ان الرصافى لم ير بداً من قبول ما عرضه عليه من تدريس الادب العربى بدار المعلمين فى القدس • والى موقف فيصل منه فى الشام يشير فى كتاب ارسله الى صديقه عبد القادر المغربى بقوله :

أصبحت فى القدس فى أمن وفى دعة
وكدت من قبلها فى الشام أعتفد

والاعتفاد هو أن يغلق الرجل باب داره على نفسه فلا يسأل أحدا حتى يموت جوعا • على حين أن الرصافى ما عارض فيصلا فى حكمه ، ولا ضاد حكومته بالشام بل تفاءل بها وسماها « صبح الامانى » ونظم فيها قصيدة بهذا العنوان الا أنه وقف منها موقف المتشكك المستريب فقال :

ولو كان صبحا ناصع اللون سرنى
وبرّد حرا كان فى كبدى الحرى
ولكنه صبح يلوح لناظرى
بحاشية الزرقاء كالدم محمرا
أراه كوجه الغادة الخود رافنى
بحسن ولكن قد تجهم وازورا

لمحت تباشير المنى من خلاله
ضئالا كمنهوك غدا يشتكى الضرا
ولم أدر لما استبهمت اخرياته
أأطمع أم أستشعر اليأس مضطرا
ولو كنت أدرى ما وراء احمراره
لسرّى عن النفس الكئيبة ما سرّى
ولكنه ورّى عواقب أمره
فزادت شكوك النفس من أجل ما ورّى
وما كل صبح يرتجى الناس خيره
ولا كل ليل مظلم يضمر الشرا
فان كنت يا صبح الأمانيّ صادقا
بوعد فحيا الله طلعتك الغرا

ثم عاد الرصافى الى بلده ، وجاء الاستعمار الانكليزى بالامير فيصل ليتخذ منه اداة لضمان مصالحه ومقاصده بتتويجه ملكا ، ولم يخف ذلك على الرصافى فسخر من خروج أهل بغداد يستقبلون الامير القادم الذى عقدوا آمالهم يومئذ ، عليه ووضعوا فيه ثقتهم فنظم أبياتا منها :

خرج الناس يهرعون احتفاء
بقدوم الامير غير الامير
ولقد هوّن الحفاوة منهم
أنهم يحتفون لا عن شعور
ملؤوا الشارع الكبير لأمر
في كبير العقول غير كبير
ليس هذا السواد الا سواداً
في رجاء اللبيب ذى التفكير

ليس هـذا الضجيج فى الطرق الا

قهقهـات التقـدير للتدبـير

وأدب رئيس الوزراء (نقيب بغداد) مأدبة للأمير فيصل خطب فيها الرصافى خطبة تخللتها أبيات دفع بها اشاعة خلاف بين النقيب والأمير حول عرش العراق منها :

مـاذا يريـد المرجفـو ن بكـل بهتـان وزور

من بعـد مـا بـدت المنى للقـوم باسـمة الثغـور

فـى دار مـولانـا النقيـب بوجـه مولانـا الأمـير

وفى مأدبة اقيمت بدار الامارة دعى اليها الرصافى فيمن دعوا فأنشد أبياتا ... ولعله أراد أن يفهم الامير القادم أن الشعب العراقى لم يبد سروره بمقدمه ، ولا أظهر حفاوته به الا لانه يؤمل فيه أن ينقذه من الاحتلال الاجنبى البغيض ، وأن يعمل مخلصا لرفع مكانته واعلاء شأنه ، وأن يبذل ما فى وسعه من جهود صادقة فى سبيل تقدمه ورقيه . من تلك الابيات .

أفيصـل أنت فيصـل كل حكم

نريـد بـه تقدمنـا السـريعـا

نريـد بـه لنـا ملكا كبـيرا

وعـزا فـى مـواطننـا منيعـا

لعـرش عـونقت فيـه المنايا

وسـابقت الدمـاء لـه الدموعـا

بيـوم ظلـت الطعنـات فيـه

تمـج على الثرى منا نجيعـا

حكى ورد الدمـاء بـه شـقيقا

فمثـل فى المصيف لنـا الربيعـا

فمرنا بالبدار الى المعالي
فلست ترى بنا الا مطيعا

ولما رأى الرصافي أن مصلحة الشعب قد هدرت في سبيل تأييد الملك المتوّج للاستعمار سلك سبيل المعارضة لكل ما رآه جاريا في غير صالح شعبه ووطنه ، وتفنن في تلك المعارضة وأبدع ما شاء له التفنن والابداع . فاذا أراد أن يصف وضعنا في العراق قال :

لنا ملك وليس له رعايا
وأوطان وليس لها حدود
وأجناد وليس لهم سلاح
ومملكة وليس لها نقود
أيكفينا من الدولات انا
تعلّق في الديار لنا البنود
وانا بعد ذلك في افتقار
الى ما الاجنبي به يجود
وكم عند الحكومة من رجال
تراهم سادة وهم العبيد
كلاب للاجانب هم ولكن
على أبناء جلدتهم اسود

واذا نشرت المعاهدة التي عقدها الملك فيصل مع الانكليز سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وألف استنكرها بأبيات منها :

نشروا المعاهدة التي في طيها
قيد يعضّ بأرجل الآمال
قد أبلعونا حبّة استعبادنا
لكن مموّهة بالاستقلال

والعهـد بين الانكليز وبيننا

كالعهـد بين الشـاة والرئبـال

من ذا رأى ذئب الـذئاب مصافحـا

بتـودّد حمـلاً من الاحمـال

شلت أكفّ موقعيهـا انهـم

حلّت عليهم لعنة الأجيـال

ولكى يظهر قيمة الملك بالنظر الى المعاهدة نظم هذين البيتين الساخرين :

العـرب كـان ملـوكهـم

ظـلاّ لخالقنـا العـزيـز

واليـوم صـار مليكنـا

ظـلاّ لـ « كنگ » الانكليـز

أما الوزارة فلم ترضه ، ولا أرضته طرق تأليفها فيقول :

ان الـوزارة لا أبالك عندنـا

ثوب يفصّـل فى معـامل لندنـا

لا يرتديه سـوى امرىء أضحى له

طبعـا وداد الانكليز وديدنـا

ومناصب الدولة يومئذ رخيصة مبتذلة تشترى بأبخس الاثمـان • لا تطلب فيمن يتسنمها مقدرة ، ولا معرفة ، ولا علما فيقول هازئا ساخرا :

نحن قـوم من الـدراويـش تغنـى

عنـدنا عن مدارس العلـم تكيـه

رخصـت عنـدنـا المناصب حتـى

قـد شروهـا بسبحـة وبلحيـه

وحالة الوزير مع المستشار لم يحتملها تفكير الرصافى الحر فأفصح عنها بقوله :

الا بلغوا عنى الوزير تحية
له بينها لو كان يخجل توبيخ
أراه بحمام الوزارة نورة
وأما جناب المستشار فزرنيخ

وفى هذين البيتين ألم بالمثل الدارج «الصيت للنورة والفعل للزرنيخ» ثم اتخذ منه سياسة سماها « سياسة النورة والزرنيخ » فنظم هذه الابيات بعد عقد المعاهدة تلك :

لسياسة الزرنيخ فى أوطاننا
طرق بها للانكليز رسوخ
كنا نظن بأن فاسد حكمها
فيما يخص مليكنا منسوخ
حتى اذا نشروا المعاهدة التى
من أجلها سيذمنا التأريخ
فاذا مليك بلادنا هو نورة
واذا مليك بلادهم زرنيخ

ويثور ثورة عنيفة جدا على اختيار وزراء المعارف ومن يختارهم فيقول :

ويح المعارف لا يستوزرون لها
الا الذين لوزر الجهل قد وزروا
فأى حرمة علم هم قد انتهكوا
بذا وأى ذمام للعلا خفروا ؟

هبهم قد احتقرونا فى مواطننا

سياسة فعلام العلم يحتقر ؟

أما الملوك فلم يتمالك من أن يبدى تعجبه من اطاعة الناس لهم ، وخضوعهم لسطوتهم فيقول :

عجبت للناس فى الدنيا فحالتهم

مع الملوك صريح العقل يجحده

ان الملوك لكالاصنام ماثلة

الناس تنحتها والناس تعبدها

ويقف منشدا فى حفلتين للريحانى اقيمتا له ببغداد عند زيارته سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وألف فيقول فى الاولى وهى التى ضمّنها شكواه العامة .

أأمين لا تغضب علىّ فاننى لا أدعى شيئا بغير دليله

من أين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله

لا خير فى وطن يكون السيف عند جبانه ، والمال عند بخيله

والرأى عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله

ويقول فى الثانية وهى التى خصها بشكواه الخاصة بعد أن يفيض فى شرح تلك الشكوى :

وما هذا وان آذى بدائى

ولا هو أمره أمر عصيب

ولكنى أرى أبناء قومى

يدبّر أمرهم من لا يصيب

يقدم فيهم الشرير دفعاً

لشرته ويحتقر الأديب

فهــذا الــداء منتشــب بقلبى

وفى قلب العــلا منــه وجيب

فــكيف شــفاؤه ومتى يرجــى ؟

وأيــن دواؤه ؟ ومن الطبيــب ؟!

ثم يخرج من العراق مغاضبا • وفى لبنان ينشد قصيدتين يقول فى احداهما :

أنــا ابن دجلــة معروفا بهــا أدبى

وان يــك المــاء منهــا ليس يروينى

قد كنت بلبلهــا الغريــد انشــدهــا

أشجى الاناشيد فى أشجى التلاحين

حيث الغصــون أفلتنــى مــكللــة

بالورد مــا بين أزهــار البساتين

فبينمــا كنت فيهــا صادحــا طربا

أستنشق الطيب من نفح الرياحين

اذ حــل فيهــا غراب كان يوحشنى

وكــان تنعــابــه بالبــين يــؤذينى

حتى غدوت طريدا للغراب بهــا

ومــا غــدوت طريدا للشــواهــين

فطرت غــير مبــال عنــد ذاك بمــا

تركت من نرجس فيهــا ونسرين

ويقول فى الثانية مصرحا عندما عرض لاخبار العراق :

لهــم ملك تأبى عصابــة رأســه

لهــا غــير سيف التيمسيين عاصبا

لقد عاش فى عز بحيث أذلهم
وقد ساءهم من حيث سر الاجانبا
وليس له من أمرهم غير أنه
يعدد أياما ويأخذ راتبا
تبوأ عرش الملك لا بحسامه
ولا كان فى يوم له الشعب ناخبا
ولكن بطيارات قوم تطايرت
فكانت علينا من شواظ سحائبا

ويصف غادة الانتداب بقصيدة فيشير الى الملك بقوله :

قد وضعت تاجا على رأسها
يلمع فى الظاهر لمع الشهاب
يحسب من در بتمويهه
وهو اذا حققته من سخاب

أما قصيدته (حكومة الانتداب) التى منها هذا البيت المشهور :

علم ودستور ومجلس امة
كل عن المعنى الصحيح محرف

فقد سارت مسير الشمس ، ولا أحسب أحدا منكم لا يحفظ أبياتا منها . وكأنه فى قصيدته هذه قد نظر بعين الغيب الى ثورتنا الخالدة ، أو بعين الشعر التى يقول فيها :

وللشعر عين لو نظرت بنورها
الى الغيب لاستشففت ما فى بطونه

فنظم هذه الابيات وكأنه يرنو الى اليوم الرابع عشر من تموز سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف :

ان دام هــذا فى البــلاد فـانه

بدوامــه لسـيوفـا مسـترعـف

لابـد من يـوم يطـول عليـكم

فيـه الحسـاب كما يطـول الموقف

الشـعب فى جـزع فـلا تستبعدوا

يومـا تثور به الجـيوش وتزحف

واذا دعا داعى البلاد الى العــلا

أتظن أن هنــاك مـن يتخلـف

أيـذل قـوم ناهضــون وعندهـم

شـرف يعـزز جانبيــه المرهف

كم من نواص للعـدى سـنجزهـا

ولحىً بأيـدي الثائرين سـتنتف

ان لم نضاحك بالسيوف خصومنـا

فالمجـد بـاك والعـــلا تتـأفف

هذه نظرة فى الخلاف الذى استحكم بين الرصـافى والبيت الهاشمى لا يعيبها اختصارها لاننى ألممت فيها بذلك الخـلاف فجلوت لـكم مراحله وأطواره ، وكشفت لكم عن حقيقة دوافعه وأسبابه ، وأنشدتكم أبياتا لولا فضل جمهوريتنا لما طمعتم فى أن تسمعوها أو تطلعوا عليها ••• ولعل هناك من يذهب الى أن الرصافى سلك ذلك المسلك الذى لا يخلو من وعورة لحزازات فى نفسه نحو ذلك البيت لان الملك فيصلا أبعده عن مناصب الدولة ، وأوسعه اعراضا واهمالا • وقد أجابهم الرصافى نفسه بكتابه الذى عرضت له آنفاً فقـال :

« ••• واننى اذا تكلمت فانما أتكلم عن مركزكم السياسى المرتبط به مستقبل العراق • ومن تأمل جيدا ونظر بعين الانصاف رأى أنى أتكلم

لذلك المركز لا عليه • لانى انما أريد لهذا المركز أن يكون الاستواء على عرشه متمكناً أكثر من تمكنه اليوم بقطع النظر عن كون المستوى عليه هو جلالتكم أو غيركم » •

ومما يدل على صدق الرصافى ، ونزاهته وبعده عن الضغائن والاحقاد أنه رثى الملكين حسينا وفيصلا بعد وفاتهما • وأرى أن أكتفى بما قدمت ، وأقف بالبحث عند وفاة الملك فيصل لانى أسهبت فيه ، وأطلت فى النقل فشغلت من الوقت ما غيرى من الزملاء الكرام أجدر به وأحق • وحسبى أننى بلغت ما أردت من أن الرصافى لم يدفعه حب المناصب الى معارضة الحكم القائم يومئذ ، وانما دفعه اخلاصه لشعبه الذى آلمه أن يراه خاضعاً للاستعمار ، وآذاه أن يبقى خانعاً لاذنابه وعملائه وهو الذى هام بحبه ، وأفنى حياته فى سبيل استنهاضه وتحرره • وقد رأينا الشعب العراقى وفياً له بعد وفاته لا يذكره الا بكل اجلال واكبار وقد جاء فى هذه الايام يعرب عن وفائه بهذا الاحتفال الذى ستعقبه احتفالات ومهرجانات ؟

كلمة سيادة العقيد فاضل عباس المهداوى
رئيس محكمة الشعب

أيها الحفل الكريم

اخواتى الفضليات ، اخوانى الافاضل . لقد وفى الشعراء والادباء والزعماء وعلى رأسهم أبو الثوار قائدنا المغوار ابن الشعب البار عبدالكريم قاسم ، لقد وفوه جميعا حقه وانصفوه ولكن انصاف الزعيم لزعيم الشعر كان زعيم الانصاف . وهل يوصف انسان بأشرف من أبى الاحرار. لقد كان الرصافى أبا الاحرار ، واننى أذكر وأنا طفل كما يذكر زعيمنا وهو طفل بأننا جيل الثورة ، كنا ننشد أناشيد الرصافى الرائعة الخالدة ، كنشيد الحرية :

سمعت شعرا للعندليب   تلاه فوق الغصن الرطيب
يا قوم انى خلقت حرا   لم أرض الا الفضا مقرا

كنت فىالصف الثالث الابتدائى والزعيم فىالصف السادس الابتدائى فى المدرسة الابتدائية التى تحمل اسم الرصافى مدرسة الرصافة وكان زعيمكم هو الفتى المنتخب من قبل مدير المدرسة بأن يحيى علم العراق علم الامة فى كل يوم خميس من كل اسبوع كما هى العادة ولكنه كان الفتى الوحيد الذى يحيى هذا العلم وكان الاستاذ عبدالمجيد زيدان مدير المدرسة يقول اخرج أيها الاسد لتحية العلم . فكنا ننظر الى هذا الفتى كما ينظر الابطال الى بطل الابطال وكما ينظر الجنود الى قائدهم المغوار . كان يتقدم كما يتقدم الاسد الهصور نحو العرين وينشد :

يا علم الامة انا معك   حتم علينا لك أن نرفعك

وهذه القصيدة كما تعلمون للرصافى .

انني اخترت الرصافي ليكون حاكما معي على أعداء الشعب من الخونة المجرمين فهل أسرفت ..؟

كلا ثم كلا ، ان الرصافي كان ثائرا في عهد السلاطين .

لقد كافحت الامة العربية من أجل التخلص من سيطرة الاستعمار العثماني ثم انها وقعت في مخالب الاستعمار الغربي ، ولكن الامة العربية المجيدة لا يمكن أن تخذل لذلك استمرت في جهادها ضد الاستعمار وكافحت في جميع أمصارها كفاحا رهيبا عجيبا وان العراق الذي هو جزء من الامة العربية كان السباق بين الاقطار العربية في ثورة كبرى في سنة ١٩٣٠ ولكن بدأ الاستعمار مرة اخرى ينكث العهود ويأتي بملك سمعتم عنه الشيء الكثير الآن من رائد الرصافي الاديب الكبير الاستاذ مصطفى علي. ان الشعب العراقي لم يرضخ للالعوبة الجديدة من ألاعيب الاستعمار فاستمر على النضال المرير في الليل والنهار ، فكانت المظاهرات والانتفاضات والوثبات حتى كانت ثورته العظمى في يوم ١٤ تموز الخالد . فاشرقت شمس الحرية في العراق بعد استعباد دام قرونا طويلة ثم أمر زعيم الثورة أخاه الامين خادم الشعب - داعيكم - بأن أكون رئيسا لمحكمة عسكرية عليا خاصة تفضلتم وسميتموها - محكمة الشعب - هذه المحكمة التي اعتز برئاستها وأفتخر وثقوا بأنني لا أريد من الحياة سوى أن أخدم وأن أقوم بواجبي في هذه المحكمة بما يرضي الحق والعدل والانصاف .. ويرضي الشعب لانني وزملائي أعضاء المحكمة المحترمين قد آلينا على أنفسنا أن نعمل للحقيقة والتاريخ وان نخدم شعبنا العظيم في هذه الحقبة من أيامه الغر الميامين التي تلت يومه الخالد يوم ١٤ تموز التي شاء الشعب وله الحق أن يجعلها جميعا أعيادا لانه تحرر من الاستعمار المجرم والرجعية المقيتة وكسب مكاسب ثورية خالدة فقضى على الاقطاع البغيض .

ولو جعلت من هذه المحكمة كمحاكم العهد المباد محاكم روتينية لا روح فيها ولا ثورة .. اذا سيقول الشعب ما أشبه اليوم بالبارحة .

انني كنت منذ طفولتي أهوى الفنون الجميلة ومنها الشعر فكنت اتمثل قول الشاعر الالماني - غوتيه - : السعادة للانسان ان يصبح على نغم موسيقى رائع وعلى صورة جميلة وعلى بيتين من الشعر الجيد . فكنت أقرأ الاشعار وأقرأ الكتب الادبية والكتب الثورية وأسمع الموسيقى ولكنني حتى هذه اللحظة لم اتمكن ان انظم بيتا من الشعر رغم أنف الاجراء الرونتريين . ولكنني عندما كنت في الصف السادس الابتدائي حاولت أن أكتب ، وبالفعل كتبت ، ونشرت لي جريدة - الاستقلال - الغراء لصاحبها الوطني المرحوم عبدالغفور البدري بعض المقالات والتي نشرتها الجريدة قبل بضعة أسابيع وبما انني كنت من صميم الشعب من الطبقة العظمى ، طبقة الفقراء وكنت أعيش طبعا في كتب الفنانين والادباء والشعراء لا بد لي ان أنشد أناشيد أشعر الشعراء الرصافي . لهذا أو ذاك كان الرصافي معنا في محكمة الشعب ، وكان معكم أيضا في الثورة وسيكون معكم في امتداد ثورتكم ...





الحلقة الثالثة

١٩/٤/١٩٥٩

١ ـ كلمة الاستاذ الصديق العلوى ـ عن المغرب

٢ ـ قصيدة شاعر الشعب الاستاذ محمد صالح بحر العلوم

٣ ـ كلمة الاستاذ كمال ابراهيم ـ كلية التربية

٤ ـ قصيدة الدكتور باقر سماكة

٥ ـ كلمة الدكتور صلاح خالص

٦ ـ قصيدة الاستاذ محمد مهدى الجواهرى

الرصافي شاعر انساني حي

كلمة الاستاذ الصديق العلوي

لا يعادل اغتباطي بالدعوة الى المشاركة في ذكرى الرصافي سوى شدة اشفاقي من المغامرة بالكتابة عن هذا الشاعر العظيم بسبب تعدد وجوه الاصالة عنده وفداحة الصمود لديه وانتفاضاته المتكررة تجاه كل محاولة غير انسانية تتسم بالفضضة القاتلة للرفق الانساني البناء .

أنـا والله لا اريـد بـأن أو
قع شـراً ولو عـلى من يعـادي
ان لي ان سـمعت أنـة محزو
نٍ أنيـناً مرجعـاً فـي فؤادي
ان نفـسي عن همهـا ذات شـغل
بهمـوم العبـاد كـل العبـاد
لا أحب النسـيم الا اذا هـبّ
عـلى كـل حـاضر أو بـاد

ثم النظرة الشاملة لوجود الانسان في انطوائه جسديا وروحيا على النقص والكمال على الرسوب والارتفاع ، فمع الرصافي في مواقفه التي لا تتغير ولا تستحيل مع الزمن المستحيل لا يمكن أن تقيّم أعماله الاصلية بالتزام سياسي محدود يستهدف التغيير الطوباوي للحياة البشرية وفقا لمذهب يساري أو يميني كما تلح هذه المذاهب عبر التاريخ يتلقاه مفكر ملتزم عن ثقافة عقلية من الخارج وانما هنالك نظرة ذاتية وربما غير عقلانيـة ذات أغاريد تصدر عن منابع ثرة بالخير والسمو مؤمنة بما يمكن أن يكون عليـه الوجود من كمال لو تغلب مؤيد من السمو الذاتي ، وبحقه قال الريحاني

« ان الرصافي وان هزهزه الشك واستحوذ عليه في بعض الاحايين ليرفع دائما أعلام الحرية والعقل والاخاء الانساني فوق رواسي المذاهب البشرية كلها فهو الفيلسوف العلمي الانساني ذلك دينه ومذهبه » .

ان الرصافي بواقع هذا النظر لم يكن قط صادراً في قصائده الكبرى عن وجود العراق أو الأمة العربية السيء بقدر ما كان فيه من النغم الانساني الا سيف على مشاهد اللانساني في الوجود ، هذا النغم بثّ وراء اساليبه الشعرية الدفء الروحي الذي يفوق جودة الصناعة عنده فتغيب فيها بواعثها الآتية فهي ليست بنت مصلحة اقليمية بقدر ما هي مساعدة للانسان من كل جيل على الارتفاع ، ولذلك فستبقى جداول تنساب في قرارة كل نفس رقيقة تعيش للانسان وبه .

فثورته العارمة كانت في الصميم بناءة وبناءة فحسب ، فالظالم والمظلوم والحاكم والمحكوم هؤلاء مدعوون للعناق في حضرة الكمال الانساني وكل تلكؤ في هذا الطريق يلتقي برجع يجتاح بعاصفة من التمرد اليائس التهاون اللاانساني وعندها تعلو اصوات التحذير من معاكسة امتداد الكمال عند الانسان مما يبلغ حد التنبؤ بالكوارث والمصائب والاحزان .

انني مبصر تباشير صبح
مستفيض على ظلام الأماني
انني استشف من غير الدهر انقلابا يعم كل مكان
سيلوح الداني به وهو قاص
ويلوح القاصي به وهو داني
ويكون المعز غير معز
ويكون المهان غير مهان
وسيغدو الضعيف محترم الحق
ويمسي الظلوم في خسران

يتجلى رب السماوات والار
ض علينا بعدله والحنان

تلك هى الايجابية الانسانية التى غرد بها كل ذى وزن فى عالم الادب والتى يصبح الشعب فيها جزءا من المادة الشعرية ونغما لها كذلك ، بل شعلة ترسم طريق الحياة كعمل تاريخ يضىء مباهج الوجود فمرحلة ويذكر بالكرامة الانسانية التى لابد أن تعيش ، بل ولابد أن تنتصر •

ان وجدانا شديد الحساسية بهذا القدر والذى تعلقت مراميه بصفاء الحقائق وغموضها هبطت به الى ساحة المعركة حقبة وجوده الزمنى من تاريخ امته التى كان الزمن وعوامله وسفالة الطبقية والاستعمار وأطماعهما قد نخرت فيها سواء الروحية منها أو الاجتماعية وحيث تهاوى أمامه كل سند انسانى للحياة الكريمة فى هذا المجتمع اقتضاه الجمود الصليبى عند القوم على توافههم عملا شاقا فدعى لمحاربة الوضع بكل سلاح لايقاظ هذه الامة •

الى كم أنت تهتف بالنشيد
وقد أعياك ايقاظ الرقود
فلست وان شددت على القصيد
بمجد فى نشيدك أو مفيد
لان القوم فى غى بعيد
اذا أيقضتهم زادوا رقادا
وان أنهضتهم قعدوا وئادا
فسبحان الذى خلق العبادا
كأن القوم قد خلقوا جمادا
وهل يخلوا الجماد من الجمود

ولعل الدراسة المتأنية لنزعة الاخاء وهى الاصيلة فى نفسه ونزعة الدعوة الى العنف وهى طارئة عليه كوسيلة لتغير واقع العرب تكشف زيادة على ما بها من امتاع عن معاناة نفسية تفيد العلم كما تفيد الادب لانها أزمة

نفسية شملت قادة الفكر العربى فى جيل الرصافى كله ، فاجتازوا فى أدبهم نفس التحولات من أصيل نزعاتهم الى طارئها .

وبهذا الامتزاج النافر امتد بنظره الى الدين فكان الصياح المهود بقيادة النفاق المعمم قائما لحماية شقاء المسلم وعطف على المجتمع فكان الاضطهاد أقل حظوظه قساوة فانسل الى العادات فناله رشاش الجهل والتأخر وبحرارة دافئة عالج مأساة المرأة العربية التى اختلطت على القوم فى شأنها حدود الاباحية والكرامة فتعسفوا بحق المصلحين ، فأغرق نفسه متسترا بين الفلاسفة والانبياء يلخص أفكار المعرى ويكتب عن الشخصية المحمدية وبين هذا وذاك يعيش أنين البؤساء وقد كان انفعاله العاطفى لبؤس الناس أساس عبقريته وأكبر داع لقول الشعر عنده قبل أن يلتفت الى السياسة ولم يربط هذا البؤس بوضع العرب الطبقى أو بكفاحهم ضد الاجنبى الا قليلا وفى ذلك خير للادب وان لم يكن ذا نفع كثير للكفاح الناشب اذ ذاك .

فقصائد اليتيم فى العيد والسجن فى بغداد وغيرهما من روائعه فى هذا الباب لم يربط فيهما بؤس الناس بكفاحهم الوطنى ، وانما بنزعتهم الانسانية فقط ، وماذا تريد من مشابه الشاعر « ركله » فى الحاحه على البؤس سوى ذلك فاستمع اليه يقول : (كانت مشاهد البؤس من أشد الدواعى عندى الى نظم الشعر وهكذا بقيت أنسج على هذا المنوال حتى أعلن الدستور العثمانى فذهبت الى الاستانة وهى مركز سياسة الدولة اذ ذاك فاستشرفتنى أمواجه المتلاطمة وحالت فى الاكثر بينى وبين تلك المواضيع السابقة وياما قاتل الله السياسة فانها ما دخلت فى أمر الا أفسدته).

انها حياة مليئة بالعظمة ذات هدف ولبانة .

وما أنا الا شاعر ذو لبانة

أنوح بها حينا وحينا أغرد

قصيدة شاعر الشعب

الاستاذ محمد صالح بحر العلوم

ناجيت شعبك ان يرعى لنا الادبا حيا يعمر ، لا ينعاه منتحبا
وان يقدر في احيائه مثلا للخير تسطع في آفاقه شهبا
وان يبارك أقلاما طبيعتها ان تنشر السلم المنشود لا الحربا
وان تكون اصول الفن عالقة بالناس ، لا بأفاع تحسن اللسبا

* * *

ناجيت شعبك بالروح التي عظمت لديك فارتاع منها البغي وارتعبا
وبت ارتقب الفجر الذي علقت به العيون والوى القيد محتسبا
فكان تموز ميقاتا لمولده وشعب تموز للفجر الوليد أبا

* * *

معروف روحك حامت فوق أرؤسنا تشدو فتبعث في أعماقنا الطربا
ناغيت بالامس تموزا ولم تره فجاء يبحث عن شيخ اليه صبا
سقيت كرمته في كل قافية اذبتها من فؤاد جالد النوبا
وكم تمنيت أن تبقى لتدركها غناء يقطف منها شعبك العنبا
وليت نظرتك المثلى التي شغفت بالشعب تبصر في تموزه العجبا
اين البروج التي شيدت على قمم من الضحايا وكادت تخرق السحبا ؟
وأين من حسبوها غير ساقطة حتى هوت فرأوا حسبانهم كذبا ؟

* * *

بغداد يا أم معروف وثورته رصي الصفوف ليوم بات مرتقبا
في جبهة يستمد البيت قوته منها فيحتضن الاكراد والعربا
هما شقيقان شبا توأمين ولا زالا رفيقين ان جدا وان تعبا
شعبان قد شربا حب النضال معا وبان صفوهما في كأسه حببا

وبسمة السلم فى ثغريهما سمة　　تدل ان لهذا المنطق الغلبا

* * *

بغداد يا هبة النهرين لا سلمت　　كف تضيع للنهرين ماوهبا
فالناصبون لنا عدوانهم شركاً　　للصيد لن يبلغوا من كيده الاربا
نسقيهم الموت أو يسقون انفسهم　　عار النكوص على أعقابهم هربا

* * *

عبدالكريم ، أصبت القصد مهتديا　　بهدى شعبك تحدوه لما طلبا
رأيت مهزلة الاقطاع قائمة　　فى الريف تدفع بالفلاح ان يثبا
حتى م يعصر من أحشائه متعا　　للمالكين ويجنى العرى والسغبا ؟
وكيف يحتمل الكف التى اغتصبت　　منه الحياة ؟ ولم يثأر لما اغتصبا ؟
وكم يكابد من أوضاعه ألما　　يذكو فيحرق من أضلاعه حطبا ؟
عرفت هذا وأحسنت العلاج له　　فلت أعجاب شعب لابنه انجذبا

* * *

رأيت يوم « كورباغى » وقد طلعت　　فيه الطليعة شمسا تخرق الحجبا
لا الدارعات تصفى زحفها رهقا　　ولا الرصاص يخفى وجهها رهبا
ولا « مزامير داود » التى وجدت　　بعض الصدور لديها ترتخى طربا
تغرى الطليعة فى تلطيف نغمتها　　خبثا لتحمل فى العقبى لها العطب
هذا العراق ، له من عمق ثورته　　حقيقة بسناها يدحض الريبا
مثلته أنت فى اظهار صورته　　فكنت أصدق مسؤول له انتسبا

* * *

عبدالكريم رأيت الشعب كيف يفى　　لقائد منه يحمى ورده العذبا
وكيف يسخر ممن أصبحوا شرطا　　على الشعوب وفى أيدى الخنا لعبا
وكيف يلعن مسعورا حكومته　　تحدت الشعب واستشرت به كلبا
على السرير ، وزهو الحكم يجعله　　أن لا يرى كم سرير حوله انقلبا
وكم غراب على انقاض سلطته　　بعد الخراب ، بصوت شامت نعبا
هذى نهاية سلطان يقوم على　　ظلم الشعوب ويطغى فيه منتصبا
فاصبر على رأس (فرعون) تجده غدا　　بحبل (جلق) أو (بغداد) منسحبا

الثورة فى شعر الرصافى

كلمة سيادة الاستاذ كمال ابراهيم

عميد كلية التربية

أيها السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله

باسم كلية التربية أو دار المعلمين العالية سابقا ، التى أتشرف بعمادتها ورئاسة قسمها الادبى احيى ذكرى الرصافى الاستاذ الاول للادب العربى فيها ، الاستاذ الذى وضع اللبنة الاولى فى الدراسات الادبية والبحوث اللغوية لهذا المعهد ، ما زالت الى اليوم ينهج عليهـا ، ويستهدى بهـا ، وذلك فى الاثرين الجليلين الذين خلفهما لطلبتنا وللدارسين والمتأدبين وهما : (محاضرات فى تاريخ الادب العربى) و (الادب الرفيع فى ميزان الشعر وقوافيه) •

وأود أن أعلن هنا عرفانا لليد التى أسداها الرصافى لهذا المعهد ، وتخليدا لذكراه فيه ، اننا سنخصص كرسيا دائما للادب العربى فيه باسم (كرسى الرصافى) كما فعلت أخيرا كلية الآداب فى القاهرة فى تخصيص كرسى لشوقى ، وكما تفعله كثير من الجامعات فى تخليد علمائها وعباقرتها •

لقد عرف عهد الثورة المباركة لشاعرنا الثائر الرصافى حقه ، ويده البيضاء على الجيل فكان من عرفان الجيل أن يحتفل بذكراه ، ويحتفى بأدبه وشعره ، فيبتعثه فى قلوب الشباب حيا جديدا خالدا ، ويبوىء الشاعر منزلته بين رجال الفكر المصلحين والشعراء الخالدين •

لقد تنكر العهد البائد للرصافى وسامه العنت والاذى والحرمـــان ، فطورد وحورب طول حياته ولكنه ـ رحمه الله ـ بما اوتيه من صلابة العود

والنفس الابية صمد لكل ذلك وصبر وناضل مؤمنا بحق امته حتى قضى معدما على سرير بال ، بهيئة الفقر والمرض والاهمال .

لم يكن الرصافي بدعا من أحرار الفكر الذين يجزون هذا الجزاء في العهود السود من حكم الطغاة ، بل كان كغيره من حملة المبادىء المكافحين في أدوار العبودية ، لا يلقون السلاح الى الا النصر أو الاستشهاد . وقد امتحنت هذه الامة بعهود قاسية طوال ، منها ما كان في العهد العثماني ، ومنها ما كان في عهد الاحتلال والانتداب ، ثم ما سمي بالحكم الوطني زيفا وبهتانا ، وكان من معاصري شاعرنا الذين امتحنوا بما امتحن به المرحوم فهمي المدرس وابراهيم صالح شكر وعبدالغفور البدري وأحمد عزة الاعظمي حتى تأذن الله لهذا الليل الطويل أن ينجلي ، والدول الباطل أن تدول في فجر الرابع عشر من تموز بقيادة زعيم الشعب الحق عبدالكريم قاسم .

لقد كان الرصافي في الطليعة الواعية من أحرار هذه الامة حمل مشعل الحرية والاستقلال ، والثورة على الاستبداد والحكم الفاسد منذ أن شب في بغداد ودرج ، وأعد نفسه للرسالة ، فتفتحت موهبته الشعرية برصين الشعر ورائعه ولكنه لم يشأ أن يجعل من أدبه ملهاة وصناعة فارغة يحيا في « برجها العاجي » كما يقولون ، ويصنع كما صنع غيره من الشعراء الى عهده ، في تملق السلطان ، والزلفى الى الملوك والامراء ، واستجداء أصحاب الثراء ، والاعانة بذلك على تثبيت الحكم الفاسد ، ثم الارتداد بفكره وروحه الى القرون الماضية ، يستوحيها ويستلهمها فيما يقول ، بل ثار على ذلك ، وخرج على الطريقة اللاحبة المعبدة من قبله ، وصرخ في امته يوقظها من سباتها العميق ، ويثيرها على اولئك الحكام ، حاديا بها الى النهوض والمجد وتحطيم الاصفاد ، متخذا من شعره سوطا سلطه على الحكام والمستبدين .

لقد كان الرصافى شعلة متقدة تضىء لامته طريق الحرية ، وتقذف بنارها وشررها العتاة والظالمين •

كان من رواد الاصلاح الذين يجود بهم الزمن كلما طال عهد الامة بالمصلحين واسترخى ليلها الطويل واستبأس الناس ، واستكانوا الى الحكام ولهذا شب الرصافى ثائرا ، وعاش ثائرا ، ومات ثائرا •

تعودت أن لا أستنيم الى المنى وان لا أرى الا بهيئة ثائر

وكانت ثورة الرصافى وليدة البيئة التى نشأ فيها ونتاج مؤثراتها فى نفسه وروحه وتفكيره ، كانت ذات جوانب شتى والوان مختلفة ، وليست فى حقيقتها ثورة واحدة ، انها ثورات عدة ، يجمع ما بينها رباط واحد وروح واحد ، ذلك ان الرصافى شاعر حق للمجتمع الذى ظهر فيه ، ورائد صادق للامة التى انجبته ، فصدق نفسه ، وصدق أمته ، وصدق الحقيقة التى نذر نفسه لها ، ولذلك كانت ثورته ، ثلاث ثورات : ثورة سياسية وثورة اجتماعية وثورة ادبية •

١ ـ ثورته السياسية :

نشأ الرصافى فى بغداد ، والعراق جزء من السلطنة العثمانية ، وقد رأى كيف كان الولاة العثمانيون يسوسون هذه البلاد ، وعلم ما آلت اليه على أيديهم من خراب وفساد ، وجهل وبؤس ومرض ، وما انتابها من فتن ومحن ، وأحداث جسام ، عرقت اللحم ونتقت العظم حتى تركتها فى اسوأ حال ، وعلم كذلك ما كانت عليه فى ماضيها الزاهر البعيد من حضارة وعمران اذ كانت أم الدنيا ، ومشرق النور فى العالم كله • لقد عرف الداء وشخص الدواء ، وكان لهذه الحقيقة أثر ممض فى نفسه ، برز قويا فى شعره ، وفى أكثر ما قال • تقرأه فى قصيدته (تنبيه النيام) التى يقول فيها :

أما آن أن يغشى البلاد سعودها

ويذهب عن هذى النيام هجودها

متى يتأتى فى القـلوب انتباهها
فينجـاب عنها رينهـا وجمودها
أما اسد يحمى البـلاد غضنفـر
فقد عـاث فيها بالمظالم سـيدها
عجبت لقـوم يخضعون لـدولة
يسوسـهم بالموبقـات عميدها
وأعجب من ذا أنهـم يرهبـونها
وأموالها منهم ، ومنهم جنـودها
بنى وطنى مـالى أراكـم صبرتـم
على نوب أعيـا الحصاة عديدها ؟؟
قعَدتم عن السعى المؤدى الى العلى
على حين يزرى بالرجـال قعودها

وفى قصيدة (سوء المنقلب) التى اولها :

بغـداد حسبك رقـدة وسبات
أو مـا تمضك هـذه النكبـات
ولعت بك الاحداث حتى أصبحت
أدواء خطبـك ما لهـن أسـاة

وفى قصيدة (بعد الدستور) ويخاطب بها مجلس النواب :

ويا مجلس النـواب سـر غير عـاثر
الى المجـد لا تلقى كلالا ولا ضعفـا
ودع عنـك مذمـوم التجافى فانمـا
لغـير التجافى اختارك الشعب واستصفى
ألـم تر ارجـاء البـلاد محـولة
من العلم ، فاستمطر لهـا الديم الوطفـا

ويستلفت نظره الى العراق ، فيقول :

ولا تنس مغبر العراق وأهله
فان البلاء الجم من حوله احتفا

فدجلة أمست كالدجيل شحيحة
فلا أنبتت زرعا ولا اشبعت ظلفا

فيا ويل قوم بالعراق قد انطووا
على الذل اذ أمست قلوبهم غلفا

ولم يذكروا مجدا لهم كان ضاربا
رواقا على هام الكواكب قد اوفى

وكانوا به شم العرانين فاغتدوا
يقاسون أهوالا به تجدع الانفا

وفي قصيدة (ايقاظ الرقود) التي مطلعها :

الى كم انت تهتف بالنشيد وقد أعياك ايقاظ الرقود

وفي قصيدة (بعد البين) التي مطلعها :

لقد طوحتني في البلاد مضاعا طوائح تجتاب البلاد سراعا

وغيرها كثير .

ولما انتقل الرصافي الى (الاستانة) استاذا للغة العربية في مدرسة الواعظين ، وقف عن كثب على أحوال السلطنة العثمانية في عاصمة الخلافة، وعلى التيارات السياسية والحزبية التي كانت تصطرع فيها ، ومدى التفسخ الذي بلغت اليه في السياسة وادارة الامبراطورية المتداعية ، ورأى كيف كانت تباع فيها المناصب وتشترى ، وكيف يختار الولاة والقضاة ، وكيف كانت تتحكم الاهواء في مصاير الناس وتعبث المكايد في التقريب والتبعيد، والحظوة والتشريد ، وعرف نهجهم في سياسة التتريك مع غير العثمانيين ،

والنظر الى الاقاليم التابعة كبقرات تحلب ، وتجبى أموالهـا لتأثيل قصور السلاطين ، وبذخ الافراد وترف الحاشية ولا يكاد شيء منها ينفق على مصالح تلك الاقاليم والعراق منها بخاصة حتى شمله الخراب والبوار وفقد الامن وسادت الفتن وأطبق عليه الجهل والمرض والاسواء الاجتماعية الاخرى .

كل ذلك وسواه مما زاد في ثورة شاعرنا على الحكم الظالم القائم ، فرفع عقيرته في طلب الاصلاح وتغيير الحال ورد الحقوق المسلوبة لاهلها ، والانكار على حكم الفرد وجبروته . تقرأ ذلك في قصيدته (الى الامـة العربية) حيث يقول :

نظـرت الى عرض البـلاد وطولهـا
فمـا راقني عـرض هنـاك وطـول
ولـم تبد لي فيهـا معاهـد عـزها
ولكـن رسـوم رثـة وطلـول
أقول لقومي قـول حيران جـازع
تهـيج بـه أشجانـه فيقـول
متى ينجلي يا قـوم بالصـبح ليلكـم ؟
فتـذهب عنكـم غفـلة وذهـول
وينطق بالمجـد المـؤثل سـعيكم
فيسكت عنكـم لائـم وعـذول

وفي قصيدة (شكوى الى الدستور) التي مطلعها :

شكاية قلب بالاسى نابض العـرق
الى قائم الدستور والعـدل والحـق

ويقول فيها :

قد استأثروا بالحكم وارتزقـوا بـه
وسدوا على من حولهم منبع الرزق

كأنا لهم شاء فهم يحلبوننا
وكم مخضوا اوطاننا مخضة الزق

وفى قصيدة (يا عدل) حيث يقول :

كيف القرار على أمور حكومة
حادت بهن عن الطريق الامثل
اضحت مناصبها تباع وتشترى
فغدت تفوض للغنى الاجهل

وكان الرصافى اللسان الناطق لحركة التحرر العربى فى الدولة العثمانية بصورة عامة وأيد أول امره مطالب حزب الاصلاح الذى الفه فريق من العرب ، ولكنه ما عتم حتى أحس أن لهذا الحزب صلة ما بالفرنسيين ، وانهم عقدوا مؤتمرهم فى باريس ، واستنجد بعضهم بفرنسا، فحمل عليهم حملته القوية ، وسلط عليهم من شعره شواظ نار ، ذلك ان الرصافى حر ينشد الحرية لامته وهو عدو كل استعمار وخصم كل تدخل اجنبى فى أى لباس كان . قال فى قصيدة (ما هكذا) :

قل للفرنسى والانباء شائعة
والصحف تروى لنا عنه الاعاجيبا
علام تعقد فى باريس مؤتمرا
ما كنت فيه برأى القوم مندوبا ؟
وهل تعمد (حقى العظم) فعلته
لما نمى خبرا « للطان » مكذوبا ؟
اذ راح يستنجد الافرنج منتصفا
كأنه حمل يستنجد الذيبا
لو كان فى غير باريس تألبهم
ما كنت أحسبهم قوما مناكيبا

لكـــن بـاريس ما زالت مطامعهـــا

ترنو الى الشام تصعيـــدا وتصويبـــا

هـل يأمن القـوم ان يحتـل ساحتهم

جيش يدك مـن الشـــام الاهاضيبا ؟

وقد صدقت نبوة الرصافي بما نجم من هذه البادرة الطائشة فاحتـل ساحة الشام بعد ذلك جيش فرنسي دك من الشام الاهاضيب !

ولما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ووقع ما وقع من تمزيق بلاد العرب وتوزيعها اسلوبا على المحتلين من دول الاستعمار الغربي ، ولف الاستعمار كثيرا من رجال العرب وضمهم الى ركبه باسم دول مزيفـــة واستقلال مكذوب ، وقف الرصافي كالطود الراسخ امام الاعاصير لا تنال منه منالا ، فاشتد في ثورته على الاستعمار ، وعلى الانكليز خاصة ، والضالعين في ركابهم من العرب ، وأعلن حربـه عـلى الملك حسـين وابنائه اذ مالأوا الاستعمار بثورتهم المزعومة ، وعملوا لحسابه ، ولتثبيت أقدام الانكليز في البلاد العربية ، وكان من أثر ذلك أن أقاموا في العراق حكم احتلال ثم انتداب وعينوا فيصل بن حسين ملكا عليه ولذريته من بعده .

لقد هب الرصافي ثائرا عـلى هـذا الحـكم الزائف ، فناوأ فيصلا ، وشنع على حكومة الانتداب ، ونعتها بأقبح النعوت ولم ير فيما سموه بعهد الاستقلال ما ينم على هذا الاستقلال بشيء ، وانما هو حكم مقنع ظاهـــره الاستقلال وباطنه الاستعمار والاحتلال ، وهو كما قال في هذه الحكومة :

مـلك ودســـتور ومجلس امـــة

كل عن المعنى الصحيـــح محـــرف

اسماء ليس لنـــا ســوى الفاظهـــا

أمـــا معانيهـــا فليست تعـــرف

واقرأ قصيدته (تجاه الريحاني) التي مطلعها :

ان العراق بعرضه وبطوله وبرافديه وباسقات نخيله

والتي يقول فيها :

أأمين جئت الى العراق لكي ترى

ما فيه من غرر العلا وحجوله

عفوا فذاك المجد أصبح آفلا

والقوم محتربون بعد افوله

أو ما ترى قطر العراق بحسنه

قد فاق مقفره على مأهوله

أما الحيا منه فذياك الحيا

لكنْ مسيل الماء غير مسيله

فلقد عفا المجد القديم بأرضه

وعليه جر الدهر ذيل خموله

ثم يقول :

من اين يرجى للعراق تقدم

وسبيل ممتلكيه غير سبيله

لا خير فى وطن يكون السيف عند جبانه والمال عند بخيله

والرأى عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله

وقد استبد قليله بكثيره

ظلما ، وذل كثيره لقليله

وقصيدته (بعد النزوح) التى قالها بعد خروجه من العراق سنة ١٩٢٢ اذ آلى حينذاك ألا يعود . ومطلعها :

هى المواطن أدنيها وتقصينى

مثل الحوادث ابلوها وتبلينى

قد طال شكواى من دهر أكابده

أما أصادف حرا فيه يشكينى

ويقول في خروجه بعد حلول فيصل فيه :

فبينما كنت فيهـا صادحـا طـربا
أستنشق الطيب من لفـح الرياحـين
اذ حـل فيها غراب كان يوحشـنى
وكان تنعـا بـه في البين يؤذينى
حتى غـدوت طـريدا للغراب بها
وما غـدوت طـريدا للشواهـين

وظل الرصافى ثائرا على هذا الحكم الزائف في العراق حتى آخـر حياته ، ظـل خصم الملكية الفاسدة وخصم الوزارات المقنعـة بالاستشارة البريطانية ، وشعره السائر في فضح تلك المآسى والمهـازل معاً تتناقلـه الافواه والاقلام ، اذ كان من أعرف الناس بحقيقة الحـال وحقيقة الدمى الوزارية التى كانت تحركها أصابع الاستعمار من وراء ستار ، وما أصدقه حيث يقول :

أنـا بالحكومـة والسياسة أعـرف
أألام فى تفنيـدها وأعنـف
سأقول فيهـا ما أقـول ولـم أخف
من أن يقـولوا شاعـر متطـرف

أذكر أنى كنت جالسا اليه ذات مرة في المقهى الذى كان يرتـاده ببغداد ، فقال أحدهم :

ان الملك فيصل حائر الآن فى اختيار وزرائه الجـدد ، ممن يؤلف الوزارة هذه المرة ، فأجاب الرصافى على الفور ولم يحير ؟ فليغمض عينيه ويمد يده الى المارة فى أى طريق ، وليستوزر من تقع عليه يده صدفة .. فهل يختلفون عن اولئك فى شيء ... وهل لهم جميعاً من أمرهم شيء ؟.

تقرأ هذه الثورة فى كثير من القصائد التى قالها ببغداد منذ عودتـه

من بيروت حتى وفاته ، تقرأها فى قصيدة (الحرية فى سياسة المستعمرين) التى مطلعها :

يا قوم لا تتكلموا　　ان الكلام محـــرم

وفى قصيدته (غادة الانتداب) التى مطلعها :

دع مزعج اللوم وخـل العتـاب　　واسمع الى الامر العجيب العجاب

والتى نعت فيهـا حكومة الانتداب تلك بأشنع النعوت ، وهو غـير متجنى فى ذلك .

وقصيدة (كيف نحن فى العراق) التى منها :

لنا ملك وليس له رعـايا　　واوطان وليس لها حدود

ويقول فيها :

أيكفينا من الدولات انـا　　تعلق فى الديار لنا البنود

وقصيدة (الوزارة المذنبة) التى اولها :

دار ذا الدهـر مـداره　　فرأى النـاس ازوراره

ثم يقول :

أهل بغـداد افيقـوا　　من كرى هـذه الغراره

ان ديك الدهر قـد بـا　　ض ببغـــداد وزاره

شـأنهـا شـأن عجيب　　قصرت عنـه العبـاره

كم وزير هـو كالـوز　　ر على ظهـر الـوزاره

ثم يقول :

فوزير القـوم لا يعـــمل من غـير اشاره

وهــو لا يملك أمـراً　　غـير كرسى الـوزاره

وفى ثورة الجيش العـراقى عام ١٩٤١ على الانكليز كان الرصافى ممن بارك هذه الثورة وأيدها ، وسرعان ما بعث من الفلوجة بقصيدتـه فى تأيدها . وهى التى مطلعها :

اليوم قـرى يا مواطن أعينـا وتطربى بالحمد منـك الالسنا
فلقد وقاك الجيش حقك سابغاً اذ قـام فيك على البـلاد مهيمنا

وتقرأ من شرر ثورته فى قصيدته التى يقول فيها :

نوحى على المجـد التليد يا نفس والحكم الرشـيد

وفيها ينـذر عبيد الانكليز ورأسهم نورى سعيد بنهايتهم المحتمة ، وكأنه كان ينظر من وراء الغيب الى ما سيقع وكأنه واقع فيقول :

مرحىً عبيـد الانكليز أجدتم عمـل العبيـد
من للعـراق يصونـه من كل شيطان مـريد ؟
لكم مـن الأيـام يـو م يستجد بـه قصيدى
لن يخـذل الله العـرا ق وان غدا ملهى القرود

لقد صدقت نبوءة الرصافى فان الله لم يخذل العراق بل كانت ارادة الله تجمع القلوب وتعد الزعيم المنتظر للثورة فى ميقات معلوم ، حتى كان ذلك فى ١٤ تموز الخالد • فاصبح العراق اليوم مربض الاسود بعد أن كان ملهى القرود •

وتقرأها فى قصيدته (بين الانتداب والاستقلال) التى مطلعها :

سل الانكليزىَّ الذى لـم يزل له بدسـت وزير الداخلية مقعـد

وفى قصيدة (يوم الفلوجة) التى مطلعها :

أيها الانكليز لـن نتناسى بغيكم فى مساكن الفلوجه

وغيرها كثير •

ان شعر الرصافى السياسى ـ بصورة عامـة ـ يصرخ بالدعوة الى الحرية ، ويصدع بالايمان بحـق الشعوب فى حكم نفسها ، وتقـرير مصيرها ، واختيار ما يصلح لها من الحكم ، وان الحرية السياسية حـق طبيعى لها كحق المـاء والهواء ، وهـو من المؤمنين بالنظام الديموقراطى الاشتراكى ، وبالنظام الجمهورى ، ثم هو بعـد خصم لـدود للملكية

والاقطاعية خصومة لا مهادنة فيها ، ومن الداعين الى اقرار السلم فى العالم واقامة العلاقات بين بنى الانسان على أساس متين من التفاهم والتعاون والمحبة .

هذه المبادىء الجليلة هى أسس الثورة السياسية فى شعره ، تقرأها منتشرة هنا وهناك فى جملة شعره السياسى وفى غيره . قال من قصيدته فى (آل السلطنة) :

هم يعدون بالمئات ذكوراً   واناثاً لهم قصور مشاله
ولهم أعبد بها واماء   ونعيم ورفعة وجلاله
تركوا السعى والتكسب فى الدنيا وعاشوا على الرعية عاله
فكأن الانام يشقون كدا   كى تنال النعيم تلك السلاله

ثم يصف حالهم الى أن يقول :

تلك والله حالة يقشعر الـ   ـحق منها وتشمئز العداله
ليس هذا فى مذهب الاشترا   كية الا من الامور المحاله
وهو فى الملة الحنيفية البيضا   ء كفر بربنا ذى الجلاله

ويقول فى قصيدة « بعد براح الشام » :

لن تعدم الدنيا الشقاء بأهلها   مادام ملك فى البلاد عضوض

ويقول فى قصيدة « بعد النزوح » معرضاً بفيصل :

عاهدت نفسى والايام شاهدة   أن لا أقر على جور السلاطين
ولا أصادق كذاباً ، ولو ملكاً ،   ولا أخالط اخوان الشياطين

ويقول فى قصيدة (رقية الصريع) :

يا امة رقدت وطال رقادها
هبى وفى أمر الملوك تأملى
كم جاء من ملك وهان بجوره
ولواك من قصد السبيل الأفضل

ويقول من قصيدة اخرى فى جناية الحروب :

أمـــن السياسة أن يقتـــل بعضـنا
بعضـــاً ليـــدرك غـــيرنا الأسمالا

لا در در اولى السياســـة انهـــم
قتـــلوا الرجـّــال ويتـموا الاطفالا

قالوا كرهت الحرب ، قلت لانهـــا
دارت لتغتصـب الحقـــوق ألالا

ويقول من قصيدة (ياعدل) فى تسفيه حكومات الملوك وتحبيذ الجمهورية :

ان الحكومـــة وهى جمهـــورية
كشفت عمـاية قلب كـــل مضلل

ســـارت الى نجح العبـــاد بسيرة
أبدت لهـم حمـــق الـزمان الاول

وغير هذا كثير .

٢ ـ ثورته الادبية :

نشأ الرصافى فى مجتمع ورث من اسواء الماضى الكثير ، واستقرت فيه رواسب الحكم الفاسد من عهد طويل ، وكان كل ما فيه يدعو المفكر الحر من أمثاله الى الثورة ، فثار على الاوضاع القائمـــة ، ثار على الحكم وسفه عمل الحاكمين ، وثار على الاوضاع الاجتماعية المتردية فى كـــل مرفق من مرافق الحياة العامة ، رافعا عقيرته بالاصلاح ، داعيا الى التجديد ، فثار على الجهل والبؤس والاستغلال ، وثار على العادات والتقاليد الفاسدة البالية ، وما ألصق بالدين من خرافات أو اريد باسمه من شعوذة ، وهـــو منها براء ، وثار على اليأس والاستسلام والركود والجمود الاجتماعى ليأخذ الشعب بحظه من الحضارة الجديدة ، وندد بحال المرأة وأسرها وعزلها عن

المجتمع وهى نصفه وقوامه ، ونادى بتحريرها وتثقيفها لتخرج الى معترك الحياة شريكة للرجل فى الشؤون العامة ولتكون عضوا نافعا منتجا ، ثم لتربى أبناءها فتحسن التربية وتخلق البيت الصالح ، تقرأ ذلك فى كثير من شعره الاجتماعى وفى قصائده النسائيات .

قال من قصيدة (المرأة فى الشرق) .

لقد غمطوا حق النساء فشددوا
عليهن فى حبس وطول ثواء
وقد ألزموهن الحجاب وأنكروا
عليهن الا خرجة بغطاء
فما هن الا متعة من متاعهم
وان صِنَّ عن بيع لهم وشراء

ثم يقول :

أيسعد محياكم بغير نسائكم
وهل سعدت أرض بغير سماء
وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح
تمثل حالى عزة وإباء
ولكن عاراً أن تزيا رجالكم
على مسرح التمثيل زى نساء

وفى قصيدة (نساؤنا وحرية الزواج عندنا)

ظلموك أيتها الفتاة بجهلهم
اذ أكرهوك على الزواج بأشيبا
طمعوا بوفر المال منه فاخجلوا
بفضول هاتيك المطامع أشعبا
قلب الفتاة أجل من أن يشترى
بالمال ، لكن بالمحبة يجتبى

ثم يقول :

يا من يساوم فى المهور مغاليا
ويميل فى أمر الزواج الى الحبا
أقصر فكم من حرة قد أنزلت
فى منزل الرجل الغنى ، بها نبا
واذا الزواج جرى بغير تعارف
وتجب فالخير ان ترهبا
شر المليحة ان تكون أديبة
وحجابها فى الناس ان تتهذبا

وثار الرصافى على الفقر والبؤس خاصة وهى العلة المزمنة التى ما زالت تنخر فى جسم المجتمع العراقى وحمل على الاغنياء والموسرين الذين لا يدركون ان فى مالهم حقا للسائل والمحروم ، وصور البؤس واشباح البائسين أبلغ تصوير فى كثير من القصائد والمعلقات ، كما صور كثيرا من أمراض المجتمع وعاهاته تصويراً تم عن قلب مكلوم ، ووجدان حى ومشاركة لاولئك البائسين فى آلامهم واحساسهم ، ولا غرو فى ذلك فقد نشأ الرصافى فى الصميم من الحياة الاجتماعية العامة التى يحياها السواد الغالب من الشعب حينذاك ، فلم يفتح عينه على غضارة العيش وترف الاغنياء ، ولا عرف نعومة الحياة ، وانما نشأ كما ينشأ العصاميون الكادحون ، فتحسس باحساس هذه الطبقة ، وشعر بشعورها وأحبها وعمل لها ، وهو جزء منها فى آمالها وآلامها ، لذلك كان شعر الرصافى تعبيرا صادقا عن المجتمع الذى نشأ فيه ، لا بل كان لسانه وترجمانه • وما أشبهه فى هذا بشاعر النيل حافظ ابراهيم الذى نشأ نشأته ، وسار سيرته ، وامتزج كل منهما بمجتمعه وبيئته ، وكان بين الاثنين توافق عجيب فى مذهبهما الشعرى ، وفى الروح والشعور والفكرة والاهداف •• اذكر أنى كنت أقرأ لحافظ بعض شعر

الرصافى ، فأجد التجاوب الغريب اذ يقرأ لى من شعره على الاثر ما يكاد يكون واحدا فى المنحى اسلوبا وروحا وفكرة ، وكنت أقرأ لشوقى بعض ذلك من اوسع الشقة التى كنت اجدها بين الاثنين ، والفرق بعيد وبعيد بين شعراء الملوك والقصور ،وشعراء الشعوب ، شعراء الجياع والبائسين .

تقرأ تلك المعانى ، فى كثير من شعره ، وبخاصة قصائده الاجتماعية ، تقرأها فى (نحن والماضى) ، وفى (أم اليتيم) و (السجن فى بغداد) و (المطلقة) و (الارملة المرضعة) و (اليتيم فى العيد) ، التى يقول فيها :

أطل صباح العيـد فى الشرق يسمع

ضجيجا بـه الافراح تمضى وترجـع

صبـاح بـه يختـال بالوشى ذو الغنى

ويعـوز ذا الاعـدام طمر مرقـع

صبـاح بـه يكسو الغنى وليـده

ثيابـا لهـا يبكى اليتيم المضيـع

صبـاح بـه تغدو الحلائـل بالحلى

وترفض من عـين الارامـل ادمع

ألا ليت يـوم العيـد لا كان انـه

يجـدد للمحزون حزنـا فيجـزع

وتقرأها فى قصيدة (الحياة الاجتماعية والتعاون) التى يقول فيها :

ومـا مدنيـة الاقـوام الا

تعاونهـم عـلى غر المسـاعى

ولـم يصلح فسـاد الناس الا

بمـال من مكاسـبهم مشـاع

تشـاد بـه الملاجىء لليتامى

وتحتـار المطـاعم للجيـاع

والا فالشقـــاء لهـــم حليف

وـــا حمل الشـقاء بمستطاع

وتقرأها فى قصائد : الفقر والسقام وسوء المنقلب وايقاظ الرقود وبعد البين وفى قصيدة عرس مصر . وما أصدقها ان تـكون لسان حال اليوم فيسمعها حكامها اذ يقول فيها :

يـا بنى مصـر صغيـة لسـؤال

فيـــه عتب لـكم وفيـــه مـــلام

أدمـــاء القتلى لديـكم خضـــاب

أم أنـين الجـرحى لـكم أنغـــام

أم تريـدون أن تـكونوا كقـــوم

أسـكرتهـم بـين القبـــور مـدام

أم أصختـم الى الاغاريـد كيــلا

تسـمعوا كيف تنحب الايتـــــام

لســت أدرى وقـد سـمعت بهذا

يقظـة مـــا سـمعته أم منـــام

وغـيرهـــا كثـير

ثورته الادبيـــة :

ظهر الرصافي فى أعقاب فترة من الحياة العربية أجلى ما تتسم به فى حياة الأدب هو ركود القرائح وانطفاء شعلة الفكر المبدع ، وسيطرة التقليد وتبلد الروح الذى ظهر أثره فى أدب المتأخرين ، وكان مظهره جليا بتلك الصناعة اللفظية التى أوغلوا فيها وفى فساد الذوق الادبى العام ، وجر ذلك الى فساد الاسلوب وضعفه ، وتفاهة المعانى وسخفها ، وأفن الفكرة والموضوع والغرض ، واقتصار الادب فى الاكثر والشعر منه خاصة على ملق السلطان

وتمدح الامراء واستجداء ذوى اليسار هذا الى موضوعات خاصة متيسرة فى معظمها ، لاحظ لها من شريف المعنى وجليل الفكرة وسمو الغرض والتأثير فى حياة الناس ، أو اصلاح الحال • ولكن الرصافى بطبيعته الثائرة ، وفكره الحر ، وقلبه الطموح ، أبى أن يجرى فيما جرى عليه أسلافه من الشعراء ، ويشغل نفسه بذلك العبث ، بل ثار على كل ذلك ، ثار بلفظه واسلوبه فارتفع بهما من حضيض الركاكة والضعف الى الاسلوب الرصين الرائق والتعبير السهل الواضح والى التجديد فى الفكرة والسمو بالاغراض، كما سما بمعانيه عن معانيهم ، ونحن لا ندعى ان كل ما جاء به الرصافى جديد مبتكر ، ولكنه وفق فى المزج بين الادبين القديم والجديد •

لقد هجر المديح والهجاء فى الغالب ، وأبى أن يتملق فى شعره ويصانع كما أبى أن يشكو ما به الى الناس الا الى أقرب خلصائه ، ولم يؤمن بأن الشعر أكذبه أعذبه بل آمن بالصدق فى شعره كما آمن به فى سيرته وحياته :

وجردت شعرى من ثياب ريائه ... فلم أكسه الا معانيه الغرا

ويقول :

اذا أنا قصدت القصيد فليس لى ... به غير تبيان الحقيقة مقصد

تعودت تصريحى بكل حقيقة ... وللمرء من دنياه ما يتعود

ومن أجل ذلك ، أنف الرصافى أن يتكسب بشعره وعاف أبواب السلاطين والامراء وازدراهم لا بل كان حربا عليهم وسوط عذاب •

وأشاد الرصافى بالحرية وتغنى بها وجعلها قبلته الدائمة ، وحدا بشعره الجيل الى النهوض ، واتخذه الوسيلة لاصلاح المجتمع ، وشحذ العزائم للتحرر وتحطيم أغلال العبودية ، وهذه أغراض شعرية جديدة بالقياس الى ما كانت عليه أغراض الشعر فى العهود السابقة ، وقد يكون الرصافى من أوائل الشعراء الذين مهدوا لها السبيل فى العصر الحديث •

وثار الرصافى على الصنعة والزخرفة اللفظية والمحسنات المبتذلة ، وعلى التكلف والغلو فى تصوير الاشياء ، وحفل للمعانى والافكار يصبها فى القالب الجميل من الالفاظ والاساليب ، فكان فى ذلك من شعراء الاساليب والمعانى معا :

طابقت لفظى بالمعنى فطابقه ... خلوا من الحشو مملوءا من العبر
انى لانتزع المعنى الصحيح على ... عرى فأكسوه لفظا قد من درر

وهجر كثيرا من معانى الاقدمين واجتنب اللفظ الغريب وجنح الى السهولة والوضوح ولا سيما فى شعره الذى نظمه فى فترة ما بين الحربين .. قلت له ذات يوم ــ يقول البعض : ان شعرك قبل الحرب الاولى أفخم وأجزل من شعرك بعدها ! فقال : ان الشعر الصحيح ما كان كالكلام المنثور وضوحا ويسرا الا انه موزون مقفى ، وهذا ما التزمته بعد نشأتى الشعرية الاولى ، وقد قال فى ذلك :

وأرسلته نظما يروق انسجامه ... فيحسبه المصغى لانشاده نثرا

ولذلك كان همه الفكرة المستطرفة ، والتصوير البارع والمعنى المبتكر ، وقد قال :

لا يحسن الشعر الا وهو مبتكر ... وأى حسن لشعر غير مبتكر

وقد وفق الى شىء من ذلك غير قليل تجد مصداقه فى قصيدة (العالم شعر) حيث يقول :

وما حادثات الدهر الا قصائد ... يفوه بها للسامعين فم الدهر
وما المرء الا بيت شعر عروضه ... مصائب لكن ضربه حفرة القبر
تنظمنا الايام شعرا وانما ... ترد المنايا ما نظمن الى النثر

والقصيدة فى تصويرها العام ومقاطعها الخاصة خيال مبتكر طريف وتجد كثيرا من معانيه المستطرفة فى قصائده الوصفية والكونية ، منها قوله :

يا قوة الجذب أطلقيني | من ثقلة أوجبت عنائي
لولاك لولاك يا شِكالي | لطرت كالنور في الفضاء
أنتِ عماد السماء لكن | خفيت عن عين كل راء
نحن بني الارض قد علمنا | بأننا من بني السماء
لو كنت في المشتري لبانت | أرض سماء بلا امتراء

ومن تشبيهاته الرائعة المبتكرة قوله :

كأن نجم السها أديب | في أرض بغداد ذو ثواء
كأن خط الشهاب مدل | لاسفل البئر بالرشاء
كأنما أنجم الثريا | في شكلها الباهر الضياء
قفاز كف به فصوص | من حجر الماس ذي الصفاء

والرصافي بعدُ ، من المؤمنين بحرية الاوزان الشعرية ، ولا يرى التزام بحور الخليل لمن يريد الخروج عليها ، ولكنه هو لم يخرج عليها في كل ما نظم ، لان الشعر في رأيه ـ وهو الحق ـ غناء ونغم وحداء ، وهذا لا يتقيد بوزن خاص . ذكر ذلك في كتابه (الادب الرفيع) .

وهو من هواة القافية الواحدة في القصيدة ، ولم أجد له شيئا في الشعر المرسل ، وأحسب أنه يحبذ هذا الالتزام ، كما يستشف من كلامه على القافية في الكتاب المذكور ، لان الشعر في مذهبه غناء وموسيقى ، وما أشبه الروي فيه بالرنة الموسيقية التي تتردد في لحن من الالحان ، فتكسبه جمالا وحسن وقع في الآذان .

هذه خطوط عامة لشعر الثورة في أدب الرصافي ، واستيفاء القول فيه وفي دراسة شخصيته الادبية وخصائصه الشعرية يتطلب بحوثا وكتبا ، نرجو أن نوفق لشيء من ذلك في المستقبل . والسلام عليكم .

ذكرى الرصافي

للدكتور باقر سماكة

ذكراك من قبسات النور والنار
تذكو فيلمح منها هديه السارى
ذكراك ياشاعر الحرمان خالدة
على الدهور باجلال واكبار
ذكراك اغنية رفت مجنحة
ومجتلى دفق اشعاع ونوّار
يا شاعر الثورة الحمرا اذا انطلقت
لم تبق للظلم من دار وديّار
آمنت ان صروح البغى قائمة
على شفا جرف هاو ومنهار
آمنت بالصفوة الاحرار حاملة
لواء جيش يبيد الغدر جرار
بنخوة لاباة الضيم جامحة
يعنو لها كل مختال وجبار
وعزمة تلهب الدنيا اذا عصفت
ريح النضال بها للاخذ بالثار
فرحت تنشد فى تموز ملهمة
من شعرك الحر بل من زندك الوارى
يهنيك ان الغد الموعود يسعدنا
بما ينوّل من خصب وأثمار

يضفي علـى يومنـا من نسـجه حللا

نفاحـة بشـذا خمر وأزهـار

رفت بشائره الجذلى تفيض هـوى

على الوجود ويهمى غيثها الجارى

وان شمس صباح الوعى قد بزغت

أنـوارها وأضاءت كـل مضمار

فانجاب ليل المآسى وانجلت كـرب

اخنت بـكلكل اذلال واعسـار

وزال عهـد بـه كانت مصائرنـا

غنيمـة بـين سـرّاق وتجـار

يساومون عليهـا الراغبين بهـا

كأنهـا سـلعة للبائع الشـارى

باسم المواثيـق باعونا لسيدهم

وباسمها مثلوهـا شـر أدوار

وباسمها كان حق الشعب مهتضما

فريسـة بين أنياب وأضفـار

سل القصور وسل ابهاءها وسل الاسحار عن لهو ندمان وسمّار

وعن لياليهم الحمر التى حفلت

بـالمغريات وشعب جائع عـارى

* * *

عبدالكريم وحسب الشعر مفخرة

ان اسمك الفيض يجرى بين أشعارى

فتورق العاطفات البيض يانعـة

تغـار من حسنها أزهـار أيـار

عبدالكريم وهل عبدالكريم سوى

هوى قصيد ونجوى كل قيثار

وأمنيات وآمال مرفرفة

كانت تعلات محرومين أحرار

ونعمة من سخاء الغيب شاملة

جادت بها - بعد يأس - كف أسرار

فدىً لاهدافك المثلى شراذمة

ما فيهم غير دساس وغرار

فأين نحن وأنغام مفرقة

والعصر عصر صواريخ واقمار ؟

يا شاعر الوطن المعروف عاطفة

غديتها من لباناتي وأوطاري

يا شاعرا قارع الطغيان منتفضا

كرابض مشرئب النار زآر

قد كنت كالطود ما مالت جوانبه

لعاصف رغم انواء واعصار

ورغم نازلة تودى بصاحبها

ومحنة فضة تردى واعسار

اليوم شعبك حر في مشيئته

والشعب صفوة أبطال وثوار

مشى بيومك اجلالا وتكرمة

شعب الكريم كريم النصر والغار

لك الخلود خلود المجد مزدهراً

وللطغاة خلود الخزى والعار

التجديد في شعر الرصافي

للدكتور صلاح خالص

اذا كان اتحاد الادباء العراقيين قد احتفل بذكرى الرصافى ، واذا كان الشعب العراقى كله قد شارك بحماس فى هذا الاحتفال وفى مقدمته ابنه البار وزعيمه عبد الكريم قاسم ، فما كان ذلك لمجرد اعتراف بالجميل لمواطن مكافح عنيد ، قضى حياته فى مكافحة الظلم ومقارعة الطغيان ولفظ أنفاسه الاخيرة وهو خاوى الوفاض لا يملك شروى نقير ، وانما كان ذلك ايضا للاشادة بشاعر جبار هز الشعب العربى هزاً وانطلق به الى اجواء جديدة وفتح له آفاقاً واسعة اندفع الشعراء فيها بعده ليخلقوا الادب الجديد أدب الشعب ، أدب الجماهير ..

أيها السيدات والسادة :

لا شك ان لكل شاعر حقيقى شخصية متميزة فى شعره تختلف عن شخصيات الاخرين ، ولذلك فلدى كل شاعر شيء قد يوصف أحياناً بالجديد ، ولكن مثل هذا الاختلاف بين الشعراء ليس هو ما نقصده بالتجديد فى الادب ، ان معناها أعمق من ذلك بكثير ، انه مرتبط أوثق ارتباط بمعناها فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . فالادب مظهر من مظاهر الحياة وهو يتأثر بها ويؤثر فيها ، وهو قبل كل شيء انعكاس لوضع سياسى واجتماعى معين ، فنحن حيث نتكلم اذن عن التجديد فى الادب فانما نتحدث فى الوقت نفسه عن التجديد فى جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية .

لقد كان الادب البدوى قبل الاسلام انعكاسا لحياة البداوة بمختلف

جوانبها ، ففى هذا الشعر نرى بوضوح صوراً واقعية قوية لحياة العـرب آنذاك ، لوضعهم الاقتصادى والاجتماعى لمثلهم الفكرية واتجاهاتهم الخلقية.
ثم انتقل العرب الى الحاضرة وسكنوا السهول وتركوا الرعى ليقتنوا الارض ويمارسوا التجارة ، وتميزت الطبقـات الاجتماعية بوضوح ، واذا بالادب نفسه يعكس الحياة الجديدة بوجوهها المختلفة ، فنشأ أدب تحت ظل الحكام والملوك يشيد بمآثرهم ويتغنى بأمجادهم سواء وجدت أم لم توجد ، ونشأ دون شك أدب معارض حاولت الطبقة الحاكمة طمسه والقضاء عليـــه . واستخدمت نفوذها الاقتصادى والسياسى لهذا الغرض فنجحت لحد كبير.
واستطاع الادب العربى فى القرن الثانى والقرنين الثالث والرابع أن يتخلص من كثير من قيود الشعر البدوى وينطلق مستجيباً بحاجات المجتمع الجديد، المجتمع العربى المتحضر ، فكان أبو نؤاس وكان أبو العتاهية وكان بشار وابن الرومى وكان أبوتمام والبحترى ثم المتنبى وأبوالعلاء المعرى والشريف الرضى وكثيرون غيرهم من افذاذ شعراء الحضارة الاسلامية يمثل كل منهم جانبا من جوانب تلك الحياة المعقدة ويرسم صورا لنوع من أنواع التفكير السائد فيها ، حتى اذا انتهى القرن الرابع الهجرى وجاء القرن الخامس، ابتدأ شعراء العربية يحسون بالعقم الفكـــــرى ، فكان عليهم أن يعالجوا الموضوعات نفسها التى عالجها الشعراء من قبلهم . كان عليهم أن يمدحـوا ويرثوا ويتحمسوا ويفخروا كما كان يفعـــل من سبقهم . كان عليهم أن يقولوا ايضا للامير انه كريم شجاع وانه حكيم لبيب، وانه ذو مآثر لاتنتهى وامجاد لا تقف عند حد ، وكان عليهم أن يتصنعوا البكاء عند وفاة هـــذا الامير أو ذاك الوجيه وأن يذرفوا دموع التماسيح لاستدرار الجزاء ...
وكان عليهم أن يصفوا الخمر ويتغزلوا كما يتغزل الاقدمون ، ووجـــدوا المعانى والافكار تنضب أمامهم اذ لم يترك لهم الاقدمون شيئا فى مجتمعهم لم يعالجوه ومعنى من معانى حياتهم المتشابهة عموما لم يطرقوه ، فالمعـــانى

الجديدة لا يمكن أن تتدفق اذا لم توجه أيديولوجية جديدة أو اذا لم توجد مثل فكرية جديدة واسلوب حياة جديد • وأمر مثل هذا لم يكن ليحدث وأساليب الانتاج هي هي ، والعلاقات الاجتماعية هي هي ••

ولذلك اتجهوا الى اللفظ يزوقونه والى التعبير يثقلونه بالبيان والبديع يكررون معاني سئمتها النفوس ويعيدون أفكارا مجتها العقول •• وبقي الادب يتخبط في هذا الطريق المظلم يروح ويجيء سقيما مهيض الجناح يعيش كسيحا في بيوت الوجهاء ومجالس الاشراف حتى اذا قارب القرن التاسع عشر على الانتهاء وبدت بشائر القرن العشرين ، رأينا جيلا من الشعراء الافذاذ وفي مقدمتهم الرصافي يحطم القيود التي كبلت الشعر ويشق الطريق الى عالم جديد من الافكار ، عالم من المعاني لا تحده حدود ولا تعترضه قيود ، وهو حياة الشعب ، حياة الجماهير بمختلف وجوهها وجوانبها ، بآلامها وآمالها بمشاعرها ومثلها العليا ، وبعد أن كان المعنى أمراً ثانوياً واللفظ غاية ، أصبح اللفظ عند الرصافي في خدمة المعنى •• وكانت هذه ثورة في الادب بنت الاسس المتينة للادب الحديث ، ولم تكن هذه القفزة الرائعة التي حققها الرصافي نتيجة عبقرية الشاعر الفردية أو تفكيره الشخصي ، وانما هي نتيجة تطور اقتصادي واجتماعي وفكري هز المجتمع العربي هزا وسار به في اتجاه جديد •

لقد ابتدأت الطبقة الوسطى والبرجوازية تنمو في المدن وتحتل مكانتها في الحياة ، وكان لابد لها أن تصطدم بالارستقراطية الحاكمة المكونة من كبار الملاكين وكانت هذه الطبقة الحاكمة تحرص على الاحتفاظ بامتيازات طبقية خاصة ، كانت تحرص على ابقاء الطبقات الاخرى تحت نفوذها واخضاعها لارادتها ولكن شيئا مهما كان يقف في سبيلها ويحبط جهودها ، وهو تنامي نفوذ الطبقة الوسطى وتزايد سلطانها الاقتصادي

وتعاظم المدن الذى يعنى تعاظم عدد سكانها المشتغلين بالصناعة والتجارة من عمال وصناع وتجار ، ومع تنامى الطبقة الوسطى واتساع نفوذها ، نشأت وازدهرت افكار جديدة ومثل جديدة تعارض الامتيازات الطبقية وتدعو الى المساواة امام القانون ، الى العدالة ، الى الحرية الى تحطيم سلطان الاقطاعيين وكبار الملاكين وتقليص نفوذهم واخيراً فسح المجال للشعب لادارة شؤونه بنفسه والتصرف بمصيره ، ورفعت الطبقة الوسطى لواء هذه المثل الفكرية الجديدة أو ان شئت فسمها هذه الايديولوجية الجديدة وسار خلفها من وعى من الكادحين والفلاحين وقام صراع عنيف فى جميع الميادين بين الجديد والقديم ، فى الميدان السياسى ، وفى الميدان الاجتماعى وفى الميدان الفكرى ... قام صراع بين الجمود والتحرر بين الامتيازات الطبقية والمساواة ، بين العدالة والظلم ، بين الاستعباد والحرية ... وكان يزيد الصراع استعاراً ويورى جذوته تدفق الافكار الغربية الى الشرق والانتصارات الساحقة التى سبق أن أحرزتها البرجوازية الاوربية فى مختلف المجالات .

وكان الرصافى فى طليعة من حمل هذه الافكار الجديدة ورفع لواءها وسجلها باخلاص فى شعره ، لقد اقتحم عالم الشعر ومعه ثروة لا تنتهى من الافكار التى لم يألفها الادب العربى ولم يطرقها الشعراء قبله ، واذا بالقيود التى كبلت الشعر العربى وجمدت المعانى الشعرية تتحطم واذا بالافكار الجديدة تتدفق من كل صوب على الادب ، وكان اوضح ما تمثل ذلك فى شعر الرصافى .

وسيعترض معترضون .. سيقولون اننا وان اتفقنا على أن الرصافى حمل لواء الحرية والعدالة والمساواة .. حمل لواء الايديولوجية الجديدة فان ذلك لا يعنى تجديدا فى الشعر !!.. ان الشعر ليس افكارا فقط وانما

هو شكل محسوس ايضا ، فهل نجح الرصافى فى تجديد الاشكال الشعرية، هل أحدث تطويرا فى الصياغة الشعرية ؟!!

والاعتراض صحيح من حيث الاساس فالتجديد فى الشعر ليس تجديدا فى الافكار حسب ، ليس تجديدا فى المعنى أو فى المضمون فقط وانما هو تجديد فى الصياغة ، تجديد فى الشكل الشعرى ايضا ولم يحدث الرصافى تغيرا أساسيا فى الاشكال الشعرية ، بل حاول حشر افكاره الجديدة فى القوالب الشعرية القديمة ، فضاقت بها هذه القوالب وتصدعت فى أحيان اخرى وابدى نقاد حول شعر الرصافى من الملاحظات ما أبدوا ، وقالوا ان الرصافى ينقل الالفاظ بأكثر مما تحتمل ، وقالوا أن شعره يقترب فى كثير من الاحيان من النثر ، وقالوا ان عنايته باللفظ قليلة ، وقالوا وقالوا الى آخر ما قالوا ... ولكن ذلك كله لن يقلل من دور الرصافى فى تجديد الشعر الحديث . فتجديد الشعر قلما يكون فى الشكل والمضمون فى آن واحد ، كما ان التجديد الحقيقى لا يمكن أن يكون فى الشكل دون المضمون أو فى المضمون دون الشكل وانما فى كليهما معا لانهما وحدة لا تتجزأ يتمثل كل منهما فى الاخر ان أى محاولة لتطوير الشكل دون المضمون أو المضمون دون الشكل هو فصل بينهما وبتعبير آخر هو اضعاف للصياغة الفنية ، وان ما يمكن أن يوجه الى الرصافى من نقد هو فى عنايته بالمعنى وتجديده واهمال اللفظ أو تسخيره احيانا لخدمة افكاره ، فاذا به مجرد وسيلة للتعبير ليس غير ، غير مقصود بذاته .

كل هذا صحيح ، ولكن ما هو صحيح ايضا ، هو أن التجديد فى الادب ، يبدأ بتجديد المعانى والافكار اولا فى القوالب والاشكال الشعرية المألوفة ، ثم تبتدىء الافكار والمعانى الجديدة تبحث عن أشكال جديدة تتجسد فيها وعلى ذلك فان التجديد فى المضمون يسبق التجديد فى الشكل، بل انه الخطوة الاولى لتجديد الشكل الفنى .

فاذا كان تجديد الرصافي للاشكال الشعرية موضع شك فان تجديده للافكار والمعاني أي للمضمون موضع اتفاق تام ، فالرصافي وضع أساس التجديد في الشعر الحديث لانه قاده الى عالم خصب ملىء بالافكار الجديدة حافل بالمعاني التي لم يعرفها الشعر القديم وفسح له المجال لان يبحث عن أشكال جديدة تناسبه ، ولا شك ان المشكلة الادبية التي لا تزال قائمة حتى الان والتي يكافح الادباء لايجاد الحلول الناجحة لها هي ايجاد الشكل الجديد المناسب للمضمون الجديد والمحاولات مستمرة لتحقيق هذا الهدف، فشل الكثير منها الا أن بعضها قد حقق دون شك قسطا غير قليل من النجاح .

واستطيع الذهاب الى أبعد من ذلك في تقدير قيمة المشاركة العظيمة التي اسهم بها الرصافي في تجديد الشعر ، فأقول انه لم يحمل فقط راية الحرية والعدالة والمساواة بمعانيها المجردة التي نادت بها البرجوازية أو الطبقة الوسطى في أوائل هذا القرن ، بل انه كان المعبر عن رأي الكادحين والفقراء في هذه المثل العليا آنذاك ، لانه لم يتحدث عنها مجردة وانما ربطها اوثق ارتباط بمصالح الجماهير . لقد كان الرصافي نتيجة لظروفه الخاصة ، لا نتيجة وعي طبقي متبلور، يحس بآلام الفقراء ويشعر بخفقات قلوب البؤساء ويردد صدى آهات المكروبين ، ويتحدث عن كل مثل الحياة كي يراها ابن الشعب . وقد سبق أن أوضحت ذلك في مقال سابق نشرته مجلة الثقافة الجديدة في نيسان ١٩٥٩ ولا أظنني في حاجة الى اعادة ماسبق أن قلته . ولا شك أن هذه الافكار او المعاني تكون خطوة أساسية في تجديد الادب وتحطيم القيود التي اثقلته ودفعه الى الامام والتمهيد للتجديد في الاشكال الشعرية التي هي نتيجة طبيعية وحتمية للتجديد في المعاني .

قد تقول ايها القارىء الكريم انني لم أقدم لك شواهد من شعر الرصافي تثبت ما أقول ، وأجيب بان ديوان الرصافي كله يشهد بذلك .

يكفى أن تقرأ قصائده « نحن والماضى » و « معترك الحياة » و « أم اليتيم » و « السجن فى بغداد » و « الدهر والحقيقة » و « فى سبيل حرية الفكر » و « المطلقة » و « اليتيم فى العيد » و « تنبيه النيام » و « ايقاظ الرقود » الخ ... لكى ترى مائة دليل ودليل على هذه الحقيقة . واذا كان لابد ان أذكر نموذجا لشعره اكتفي بذكر قوله فى قصيدة عنوانها « سياسة لا حماسة » توضح موقفه من المعانى ومن الالفاظ ، أو بتعبير آخر موقفه من مضمون الشعر وشكله ، حيث يقول فيها :

الشعر مفتقر مني لمبتكر
ولست للشعر فى حال بمفتقر
دعوت غر القوافي وهى شاردة
فاقبلت وهى تمشي مشي معتذر
وسلمتني عن طوع مقادتها
فرحت فيهن أجري جري مقتدر
اذا أقمت أقامت وهى من خدمى
وأينما سرت سارت تقتفي أثرى
صرفت فيهن أقلامى ورحت بها
اعرف الناس سحر السمع والبصر
سقيتهن المعنى فارتوين بها
وكن فيها مكان الماء فى الثمر
كم تشرئب لها الاسماع مصغية
اذا تنوشدن بين البدو والحضر
طابقت لفظي بالمعنى فطابقه
خلواً من الحشو مملوءاً من العبر
انى لانتزع المعنى الصحيح على
عري فاكسوه لفظاً قد من درر
وأجود الشعر ما يكسوه قائله
بوشي ذا العصر لا الخالى من العصر

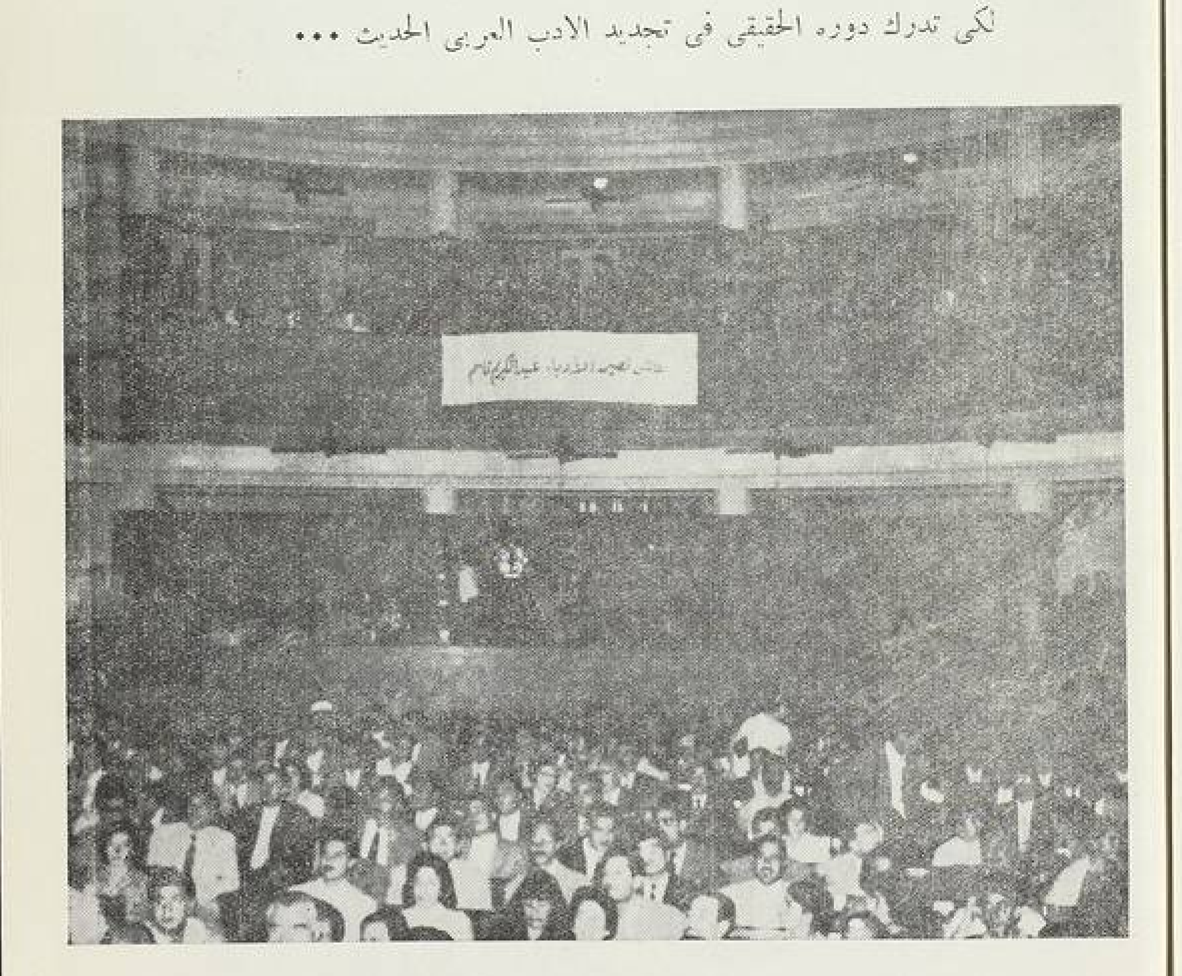
لا يحسن الشعر الا وهــو مبتكر
وأى حســن لشعر غــير مبتكر

ومن يكن قال شعراً عن مفاخــرة
فلست والله فى شــعرٍ بمفتخــر

وانمـــا هى أنفــاس مصعــدة
ترمي بها حسراتى طــائر الشرر

الى آخر القصيدة .

ولن تستطيع ايها القارىء الكريم أن تستغني عن قراءة شعرالرصافى لكى تدرك دوره الحقيقى فى تجديد الادب العربى الحديث ...



في ذكرى الرصافي

قصيدة الاستاذ محمد مهدي الجواهري

قدم الاستاذ الجواهري لخريدته قائلا : (ويا ليت عندي شعرا او قصيدة كما تمنى الدكتور الطاهر عريف الحفل فقد كان بيني وبينه صراع طويل استمر طيلة يومين انا أقول له بعد غد وهو يقول غدا ، وانا أقول غدا وهو يقول اليوم وعبثا أحاول أن أقول له ان الشعر لا يواتيني ولو تحضرت له قبل عام الا ليلة غد التي أقول فيها الشعر ، وعلى الرغم من اننا واخواني اعضاء الاتحاد تعبنا كثيرا وللحقيقة أقول ان الدكتور الطاهر كان أشدنا تعبا في تهيئة هذا الحفل الكريم العظيم العزيز علينا جميعا ، على الرغم من هذا ومن علمنا بهذا الموعد من قبل شهرين فعلى العادة وكما قلت لكم ولو كان ذلك قبل سنة فمن المستحيل انني اتمم الاشواط الباقية من القصيدة الا في الليلة الباقية وكانت هذه الليلة كما تعلمون هي هذه الليلة أي ان وعدي بكم كان غدا وقد شاءت الظروف وبمناسبة انعقاد محكمة الشعب التي تزاحمت وذكرى ابن الشعب البار ومع هذا فقد كان عندي منها الشوط الاول فقط وهو أهم الاشواط عندي وكانت كما قلت بقية الاشواط ستقطع في هذه الليلة مع الاسف وقد قطعت على لحد الان والشوط الاول أتي به على مسامعكم لئلا تقولوا ان ليس لفلان قصيدة في معروف الرصافي . ولا تنتظروا اكثر من ابيات معدودة رجاء .

لغـز الحيـاة وحـيرة الألبـاب

أن يستحيـل الفكـر محض تراب

أن يصبح القلب الـذكى مفـازة
جـرداه حتى مـن خفـوق سـراب

فيم التحايل بالخـلود ؟ وملهـم
لحفـيرة • ومفـكر لتبـاب

والعبقـرى على البسيطـة عمـره
أوهـى وأقصر من حيـاة ذباب

حسبي بليت تعـلة • اذ ميتـة
حتم • واذ آجالنـا بنصـاب

ليت السماء الارض • ليت مـدارها
للعبقـرى بـه مكـان شـهاب

يومى لـه ويقـال ذاك شعاعـه
لا محض اخبـار ومحض كتـاب

* * *

يا معشر الادبـاء غـر جهـودكم
فى المكـرمات عريقـة الانسـاب

من كل محـروم الثـواب معـاقب
فى هـذه أو تلك شـر عقـاب

يا زمرة الشعـراء شـف نفوسهم
فرطان : فرط جوى وفرط عـذاب

ذابوا ليسقوا النـاس من مهجاتهـم
خـير الشـراب مشعشع الاكواب

وتحـرقت منهـم لتعـلي شعـلة
لبـلادهم • كتـل من الاعصـاب

ناشدتكم بوشائج من فكرة
وعقيدة ورسالة ومصاب

من منكم رغم الحياة وعبئها
لم يحتسب للموت ألف حساب

أنا أبغض الموت اللئيم وطيفه
بغضي طيوف مخاتل نصاب

يهب الردى شيخوختى وبقيتها
بكهولتي وبقيتها بشبابى

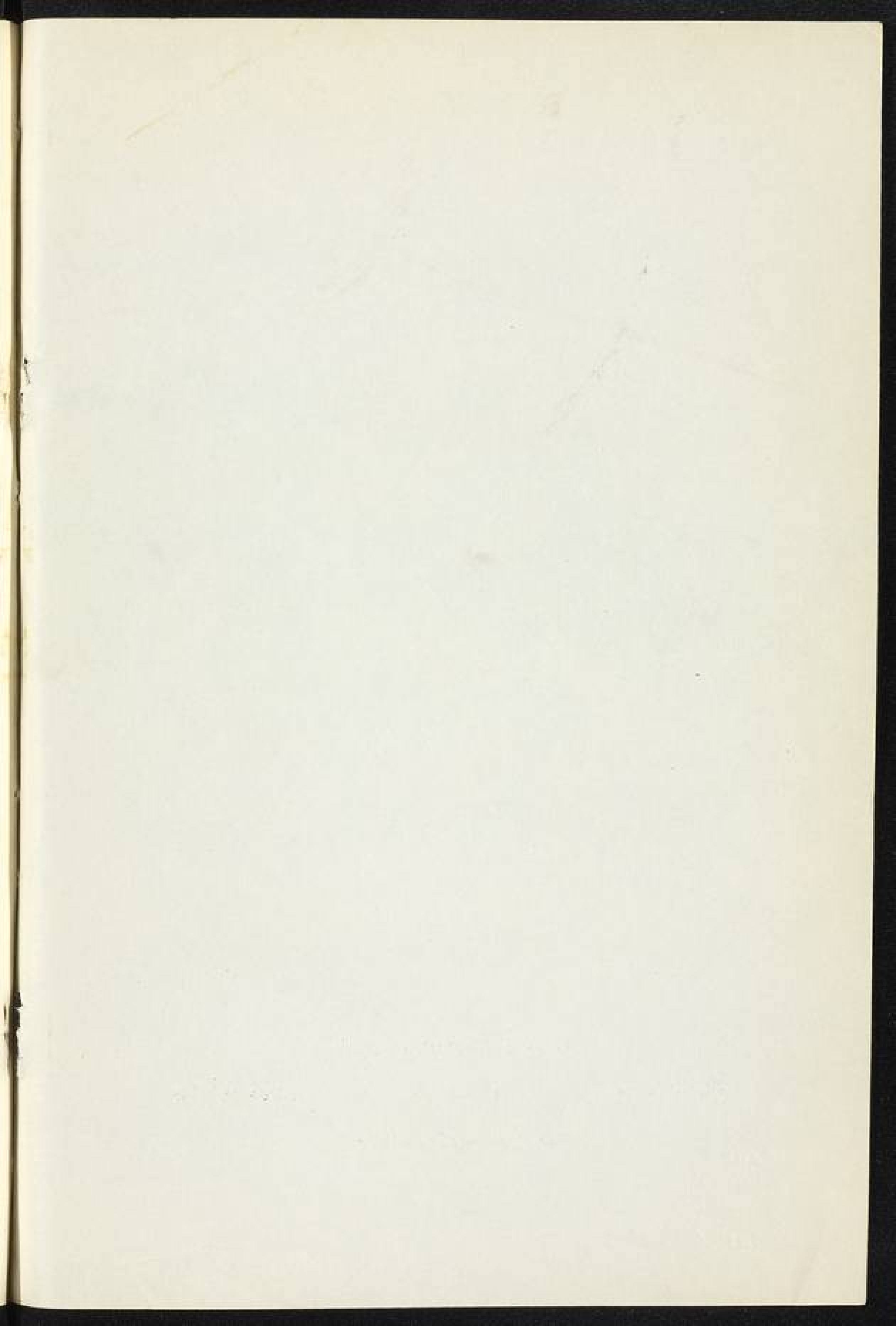
ذئب ترصدني وفوق نيوبه
دم اخوتى وأقاربى وصحابى

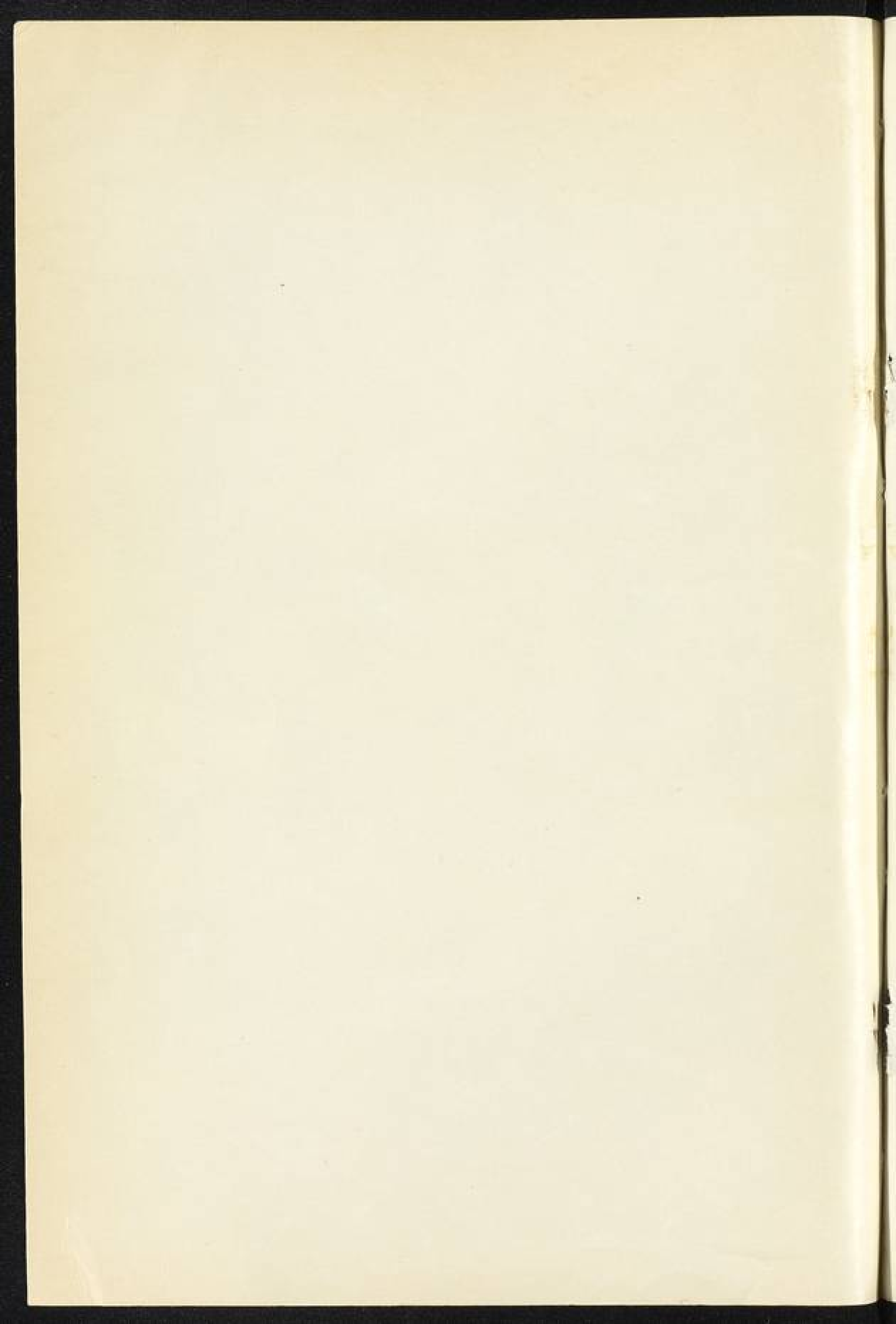
فهرس

أشرف على اعداد الكتاب وطبعه

جواد أحمد علوش		باقر سماكة		علي جواد الطاهر

من اتحاد الادباء العراقيين





AL-RUSAFI

LLOCUTIONS PRONONCÉECS A L'OCCASION DU 14eme
ANNIVERSAIRE DE LA MORT DU POÈTE IRAKIEN

Union des Ecrivains Irakiens

Al-Ma'aref Press - Baghdad

1959

